

# آل المُهَلْبُ الْعُمَانِيُون

فِي الْمَشْرِقِ الْإِسْلَامِيِّ  
حَتَّى سُقُوطِ الدُّولَةِ الْأُمُوَيَّةِ

الأستاذ الدكتور

عبد المنعم عبد الحميد سلطان

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب بسوهاج

جامعة السلطان قابوس سابقاً

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ ش. الدكتور مصطفى مشرفة - الأزريطة - الإسكندرية

٤٨٤٥٠٨ : تليفون وفاكس

آل المُهَبَّ الْعُمَانيُون  
فِي الْمَشْرُقِ الْإِسْلَامِيِّ  
حَتَّى سَقوطِ الدُّولَةِ الْأَمُوْرِيَّة



# آل المُهَلَّب الْعُمَانِيُون

## في المشرق الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية

الأستاذ الدكتور  
عبد المنعم عبد الحميد سلطان  
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية  
كلية الآداب بسوهاج  
جامعة السلطان قابوس (سابقا)

شبكة كتب الشيعة



مركز الإسكندرية للكتاب  
٤٦ ش . د. مصطفى مشرفة - الإزاريطة  
ت / ف : ٤٨٤٦٥٠٨



## مقدمة الطبعة الثانية

أضع بين يدي القارئ الطبعة الثانية من كتاب «آل المهلب في المشرق الإسلامي»، ودورهم السياسي والحربي حتى سقوط الدولة الأموية، وهي طبعة مزيدة ومنقحة، تداركنا فيها بعض التصويبات والأضافات الضرورية، كما زودناها بخريطة مرضحا عليها المدن والواقع المهمة التي جاء ذكرها في البحث، وخاصة الواقع الحربي التي خاضها آل المهلب في المشرق الإسلامي دفاعاً عن الإسلام، أثناء مشاركتهم في حركة الفتوحات الإسلامية وفي نضالهم المشرف ضد الخوارج الأزارة الذين روعوا العالم الإسلامي بما عرف عنهم من عنف في القتال، فكان للمهابية اليد الطولى في التصدى لهم، والقضاء على خطرهم.

كما ذيلنا هذه الطبعة بقائمة تحوى تعريفات ببعض الواقع الذى جاء ذكرها فى الكتاب ، ولم ننأ وضعها فى هوامش المتن حرصا على تسلسل الأفكار ، وعدم شغل القارئ بها ، وقد رتبناها ترتيبا أبجديا ليرجع إليها من يرغب فى معرفة المزيد عنها .

هذا وأرجو من الله أن يشملنا بتوفيقه ورعايته ، ويلهمنا الخير والصواب

عبد المنعم سلطان

الإسكندرية في يونيو ٢٠٠٤



## مقدمة

يتناول هذا البحث تاريخ آل المهلب في المشرق الإسلامي ونشاطهم السياسي والعربي حتى نهاية العصر الأموي . وقد حاولت من خلاله القاء الضوء على هذه الأسرة العربية التي كان لها دوراً مؤثراً في حركة الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام ، كما تصدت لحركات المعارضة وكان لها مواقف مشرفة في الصراع ضد الخوارج الأزارقة الذين روعوا العالم الإسلامي في المشرق وأثاروا الذعر بين الخاصة والعامة .

وقد تعرضت هذه الأسرة إلى تشهير متعمد من جانب عناصر من الشعوبين وكتاب المثالب ، ونحن في هذا البحث لم نقف أمام هذه الحالة لتنفي ما ذهب إليه بعض هؤلاء من الطعن في نسبهم العربي ، والاساءة إليهم ، فان نسبهم وانتماءهم إلى قبائل الأزد قضية حسمتها معظم المصادر التاريخية ، ولا مجال للشك فيها . فنجد العجاج بن يوسف الشقفي في احدى رسائله للمهلب يقول أنه اختاره ل الحرب الأزارقة وفضلته على رجال من مصر .. وهو رجل من أهل عمان .. من الأزد .. وما كان العجاج أو غيره من مؤرخي المسلمين يجهلون نسب المهلب ، وما قبل غير ذلك فهو ضرب من التعدى على الحقائق

وفي الفصل الأول حاولت ابراز دور أبي صفرة والد المهلب حلال عصر النبوة والخلافة الراشدة ، فتاریخ أبي صفر طعن عليه شهرة ابنه المهلب ، ولم يحظ باهتمام المؤرخين ، فهو من أوائل الذين اعتنقوا الإسلام بين قومه أزد عماد ، كما يأتي ذكره في المصادر من بين القرواد الذين ساهموا في حركة الفتوحات الإسلامية في المشرق في عهد الخليفتين عمر وعثمان وكان أبو صفرة يقود فرقة من قومه الأزد وكان يصحبه من أبناءه : النجف والمغيرة وحبيب

و جاء ذكر المهلب لأول مرة في حياة أبيه في حملة المسلمين على سجستان في أواخر خلافة عثمان (٢٣٥هـ) ، ويوفاة أبي صفرة حوالي سنة ٣٧ هـ تنتقل زعامة الأسرة إلى ابنه المهلب ، لتردد المصادر سب الأسرة كلها إليه فيطلق عليهم أحياناً « المهلبة » وأحياناً « آل المهلب »

وحلال الفترة السعفانية من تاريخ الدولة الأموية ، حقق المهلب شهرة واسعة كأحد الأبطال في مجال الحرب والجهاد في الجبهة المشرقة مما رفع من شأن المهلبة وجعل ولاة خراسان يحرصون على أن يصحبهم المهلب ورجاله إلى خراسان ليكونوا مندا لهم في معاركهم هناك وفي أواخر هذه الفترة تظهر براعة المهلب السياسية وحسن تقديره للأمور عندما اشتعلت الصراعات بين القبائل في خراسان في أعقاب وفاة يزيد بن معاوية ، وكان والي خراسان ( مسلم بن رياض ) قد انسحب

منها تاركها للمهلب ، وقد أغضب هذا التصرف عناصر من المصرية ، وتنافست القبائل للسيطرة على خراسان وتمزقت أقاليمها فيما بينهم ، وقد أثر المهلب في هذا الجو المضطرب أن لا يكون طرفا في هذا الصراع ، فانسحب برجاته وأآل بيته وأقام بالبصرة يرقب الأحداث .

وتناولت في الفصل الثاني : علاقة المهالبة بشورة عبد الله بن الزبير ، وهي في رأينا علاقة طبيعية نتيجة لوقع العراق وأقاليم المشرق وأهمها خراسان تحت نفوذ ابن الزبير ولما كان المهلب أحد القادة المشهود لهم بالكفاءة في هذه المنطقة فقد سعى ابن الزبير حينها ليضم المهلب إلى صفوفه واجتمع به طويلا وأغراه بولاية خراسان في الوقت الذي كان فيه الأمويون مشغولون بقضية الوراثة ومن يخلف معاوية الثاني ، فاستجاب المهلب ، وفي طريقه لخراسان مر بالبصرة التي بها معظم قبيلته ورجاله ، وكانت البصرة تتعرض لخطر داهم من جانب الأزارقة ، فضحي المهلب بخراسان وتصدى لحرب الأزارقة منذ هذا التاريخ ( ٦٥ هـ ) استجابة لرجاء أهل البصرة وبتكليف من عبد الله ابن الزبير وأوضحت كيف استمر المهالبة في صراحته ضد الأزارقة حتى قتل مصعب ابن الزبير سنة ٧١ هـ ، ويبدو أن المهلب كان يدرك أن مكانه هو الجهاد وال الحرب سواء كان منتميا إلى ابن الزبير أو الأمويين ، فأعلن المهلب البيعة لعبد الملك بن مروان الذي شكره وأثنى عليه وأقره على ما تحت يده من ولايات وأسند إليه مهمة موافقة الحرب ضد الأزارقة

أما الفصل الثالث : فقد تناولت فيه علاقة المهلب بالدولة الأموية منذ سنة ٧١هـ وحتى القضاء على الأزارقة سنة ٧٧هـ ونلاحظ في هذه المرحلة أن آل المهلب كانوا موضع حسد من جانب عناصر استبد بها التعصب القبلي وساءها أن يسيطر الأزد على مجريات الحرب ضد الأزارقة ، ويحوزوا شرف النصر تلو النصر في الوقت الذي فشل فيه غيرهم من المضرية في أن يحلوا محلهم ، وكانت الخلافة الأموية تدرك أنه لا يستطيع التصدى للأزارقة إلا المهالبة ، ورغم ذلك فقد تعرض المهلب للعديد من المضايقات وخاصة من جانب والي العراق العجاج ابن يوسف الثقفي الذي كان يتهمه بإطالة الحرب طمعا في الخراج الذي يجيئه من الأراضي الخاضعة له .

ورغم الأستفزاز ظل المهلب يدارى العجاج ، حتى تمكן في النهاية من تحقيق النصر على الأزارقة ، وكانت ولاية خراسان هي الجائزة التي حصل عليها المهلب لجهوده في القضاء على خطر الأزارقة .

أما الفصل الرابع : فقد تناولت فيه فترة ولاية المهلب على خراسان حتى وفاته سنة ٨٢هـ وأبرزت عدة نقاط مهمة منها أن العجاج كان يضرم الحقد على المهلب وأغرمه مبلغا كبيرا من المال ، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل المهلب يجاهد في سبيل نشر الإسلام (فخيل له بسمر قند وأخرى بيخارى وأخرى بطخارستان ) كما نجح المهلب في حفظ التوازن في علاقته بالحجاج وبال الخليفة الأموي في

دمشق فلم يكن في طبعه الغدر ونکث العهود ويظهر هذا في موقفه من ثورة ابن الأشعث سنة (٨١هـ) ، كما يظهر بوضوح في وصيته لأبنائه قبل وفاته .

أما الفصل الخامس : فقد تناولت فيه تاريخ المهابة منذ تولى قيادة الأسرة يزيد بن المهلب وحتى وفاة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ) وأوضحت أن المهابة في هذه الفترة قد نالوا حظاً وافراً من القراءة والنفوذ وخاصة في خلافة سليمان بن عبد الملك حتى أن بعض الرواية ذكروا أن يزيد بن المهلب كان يجلس مكان الخليفة الأموي في غيابه ، ولكن هذا الوضع أثار الأحقاد والغيرة ، وكانت أخطر هذه الأحقاد ما جاء من جانب أمراء البيت الأموي فقد شعر بعضهم بالضالة أمام نفوذ يزيد وسلطته ، مما عجل بنكبة المهابة .

أما الفصل السادس : فقد أوضحت فيه ثورة آل المهلب ضد الدولة الأموية وحللت الأسباب التي أثارت البيت الأموي ضد يزيد ، وظروف الحرب الضاربة التي خاضها يزيد ضد الأمويين ، ورغم كثرة أنصاره إلا أن يزيد بن المهلب كان يرفع السيف هذه المرة في وجه الدولة صاحبة الحق الشرعي في الحكم مما أدى إلى هزيمته في موقعة العقر (١٠٢هـ) وقد أبرزت عوامل هزيمة يزيد في هذه الموقعة . ومطاردة الأمويين لآل المهلب في كل مكان للقضاء على نفوذهم .

وقد وضحت في الخاتمة أنه رغم مطاردة الأمويين لآل المهلب فإن من بقي منهم ظل على عدائه للدولة الأموية طلباً للثأر ، فقد ثار

سليمان بن حبيب بن المهلب سنة ١٢٩ هـ ضد الأمويين في الأهواز  
كما خرج سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب على الأمويين في  
البصرة معقل المهابة سنة ١٣٢ هـ تأييداً للدعوة العباسية .

هذا وفي النهاية أرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه من  
هذا البحث . ونسأل الله التوفيق في الفكر والقول والعمل ، انه نعم  
المولى ونعم النصير .

د . عبد المنعم سلطان

## الفصل الأول

أسرة المهاجرة منذ اعتناق أبو صفرة الإسلام  
وحتى وفاة يزيد بن معاوية (٦٤هـ)



## الفصل الأول

### أسرة المهالبة منذ اعتنق أبو صفرة الإسلام وحتى وفاة يزيد بن معاوية (٦٤هـ)

تسب أسرة المهالبة إلى المهلب بن أبي صفرة ، واسم أبي صفرة « ظالم بن سراق »<sup>(١)</sup> الذي يرجع نسبه إلى قبائل الأزد اليمنية<sup>(٢)</sup>. التي هاجرت إلى عمان وكانت أحدى الهجرات اليمنية التي تفرقت في شبه الجزيرة العربية في أعقاب انهيارات سد مأرب ولأسباب أخرى ذكرها الرواة والنسابون ، وكانت الأزد عند تفرقها أضيقت كل طائفه إلى شيء يميزها عن غيرها ، فقيل أزد دبا وأزد شنوة وأزد عمان . ومرجع الكل إلى الأزد المذكورة<sup>(٣)</sup>. ويروى النسابون العمانيون أن آبا صفرة من أهل مدينة (أدم) من داخلية عمان ، وأن آل بوسعيد في عمان ينتسبون إلى آبي سعيد المهلب بن أبي صفرة<sup>(٤)</sup>.

ويروى ابن حجر في الأصابة ما يوحى بأن آبا صفرة كان صحابيا

(١) راجع : ابن قية ، المغارف ، ص ٢٢٩ (القاهرة ١٩٦٩) ، أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢ ، ص ٧٥ (القاهرة ١٩٧٢) يروى ابن حزم أن اسمه : سالم بن سراق . انظر : جمهرة نسب العرب ، ص ٣٦٧ (القاهرة ١٩٨٢) .

(٢) الأغاني ، ٢ ، ص ٧٦ ، ابن حجر ، الأصابة ، ج ٤ ، ص ١٠٨ (بيروت ١٣٢٨ هـ) .

(٣) ابن خلkan ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٣٥٨ .

(٤) رابع سيف بن حمود البطائش ، تاريخ المهلب القائد ، ص ١٣ ، ص ٢٢ .

والنقي بالرسول ﷺ وبابعه على الإسلام ، وأن رسول الله هو الذي أطلق عليه هذه التسمية ، أبو صفرة ، فيقول : « أن أبو صفرة قدم على رسول الله ﷺ على أن يبايعه وعليه حلة صفراء .. فلما رأه .. قال له من أنت . قال : أنا قاطع بن سارق بن ظالم .. فقال له النبي : أنت أبو صفرة . دع عنك سارقا وظالما .. فأعلن أبو صفرة إسلامه بوقال إن لي لعانية عشر ذكرا ورزقت بنتا سميتها صفرة ، فقال النبي وأنت أبو صفرة »<sup>(٥)</sup>.

ويعرف ابن حجر بأن هذه الرواية فيها اختلاف وأن بعض الروايات تذكر معاينة أبي صفرة ولقاءه بالنبي . وفي رواية صاحب الاستيعاب ، أن أبو صفرة كان مسلماً على عهد الرسول ﷺ ولم يفده عليه ، ووفد على عمر بن الخطاب <sup>(٦)</sup>.

والروايات السابقة تحتاجان إلى وقفة لترتيب ما جاء فيهما طبقاً لما ورد في المصادر العمانية التي تحت أهدينا . فاحتتمالات لقاء أبي صفرة بالرسول ﷺ في المدينة ليعلن إسلامه بين يديه ممكنة . لذا تروى المصادر العمانية أن الإسلام قد عرف طريقه إلى عمان في وقت مبكر من ظهور الدعوة الإسلامية في الحجاز ، وأن أول من اعتنق الإسلام في عمان هو مازن بن غضرة من أهل سمائل الذي سافر إلى المدينة والنقي

(٥) ابن حجر ، ج ١ ، ص ١٠٨ - وهناك رواية أخرى في الأغاني بأن سميتها بهي صفرة لأنها كانت بصرى لها . لنظر : الأغاني : ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٦) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ص ١٠٩ ( بيروت ١٣٢٨ هـ ) .

بالنبي وأعلن إسلامه أمامه ، وتبعه البعض في هذا الاتجاه <sup>(٧)</sup> . ويروى ابن سعد في الطبقات أن وفودا من أهل عماد رحلت إلى المدينة والتقت بالنبي ﷺ لإعلان إسلامها وكان ذلك قبل الفتح وطلبوها من الرسول أن يرسل معهم من يعلمهم شئون دينهم <sup>(٨)</sup> . وكان هذا قبل أن يبعث الرسول برسالته إلى حاكمي عمان : عبد وجيفر ابني الجلندى يدعوهما فيها إلى الإسلام <sup>(٩)</sup> . فإذا أضفنا إلى هذا أن أبا صفرة كان مقدما في قومه أهل عمان وكان من أصحاب السيادة والزعامة .. فلما أسلم زاد شرفه وقدمه قومه <sup>(١٠)</sup> . فانتابنا نرجع حدوث رحلته إلى المدينة ولقائه بالرسول ﷺ كما جاء في رواية ابن حجر.

أما عن قول صاحب الاستيعاب بأن أبا صفرة لم يلتقي بالرسول ﷺ وإنما التقى بعمرو بن الخطاب ، فهذه الرواية ينقصها الدقة . فإنه من المعروف أن أبا صفرة قد التقى بلكي بكري الصديق بعد توليه الخلافة الإسلامية ، والروايات التي بين أيدينا تؤكد أنه في أعقاب وفاة الرسول ﷺ عاد عمرو بن العاص من عمان - وكان واليا عليها - إلى المدينة ، مصحوبا بوفد عماني يقدر بحوالي سبعين فارسا على رأسهم أحد حاكمي عمان وهو عبد بن الجلندى ، وكان من بين أعضاء

(٧) نور الدين المالي ، حفنة الأميد ، ج ١ ، ص ٥٣ وما بعدها .

(٨) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٠ - ٨١ (طبعة دار النسب) .

(٩) البلاذري ، خرج البلذري ، ص ٩٣ .

(١٠) العوتبي ، الأنساب ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

هذا الوفد أبو صفرة<sup>(١١)</sup> . وكان هذا الوفد في حقيقة أمره خفارة لعمرو بن العاص ، خوفا عليه من مخاطر الرحلة من عمان الى المدينة في ظل الأضطرابات التي شاعت بين القبائل في أعقاب وفاة الرسول ﷺ فكان عمرو بن العاص في رحلته <sup>هـ</sup> يلقى الناس مرتدين ، وقدم على الناس بالمدينة فطافوا به يسألونه ، فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا الى المدينة <sup>هـ</sup> <sup>(١٢)</sup> . لذلك ما كاد الوفد العماني يصل الى المدينة حتى التقى بال الخليفة أبي بكر ، وتحدث أبو صفرة عن العمانيين فقدم إليه عمرو بن العاص سالما معافي وقال : <sup>هـ</sup> هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله ﷺ فقد برئنا منها اليك ، فقال أبو بكر جزاكم الله خيرا <sup>هـ</sup> <sup>(١٣)</sup> .

ويؤكد صاحب الأغاني هذه الرواية العمانية فيقول : <sup>هـ</sup> وفد ابن الجلندي في الأزد ، أزد عمان .. فكان فيمن وفد منهم أبو صفرة .. فدخل إلى عمر مع ابن الجلندي <sup>هـ</sup> <sup>(١٤)</sup> . ويبدو أن الوفد العماني كان قد التقى في أول الأمر مع عمر بن الخطاب ثم حدث اللقاء بعد ذلك مع الخليفة أبي بكر ، لأن الروايات المتوفرة لا تذكر إلا زياره واحدة لابن الجلندي تلك التي ذكرناها والتي شارك فيها أبو صفرة .

(١١) راجع : ابن خلkan ، وفاته ، ج ٤ ، ص ٢٢٢، ٢٢٩ .

(١٢) السالمي ، خمسة ، ص ٤٥ .

(١٣) نفسه ، ص ٤٣ .

(١٤) الأغاني ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

ثم يأتي ذكر أبي صفرة كأحد القواد الذين شاركوا في الحملات الإسلامية على بلاد فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وكان عمر قد أصدر تعليماته إلى والي عمان في ذلك الوقت « عثمان بن أبي العاص الثقفي »<sup>١٥</sup> بمراقبة تحركات الجيش الفارسي في الخليج ، وأن يتصدى له عند الضرورة ، ويبدو أن أبي صفرة كان على خبرة ودرأية كبيرة بشئون البحر والملاحة البحرية وموضع ثقة أهل عمان في هذا المجال ، فعندما طلب عمر بن الخطاب من والي عمان أن يقطع الخليج بالسفن إلى فارس طلب عثمان بن أبي العاص من أهل عمان أن يدللوه على من يشاوره في أمر هذه الحملة البحرية ، فاقتصر عليه العمانيون أن يشاور أبي صفرة <sup>١٦</sup> .

وندب والي عمان المقاتلة فاجتمع له جوالى ثلاثة آلاف مقاتل معظمهم من أزد عمان ، وكان من بين رجاله أبو صفرة وكان يقود قومه بني عمران <sup>١٧</sup> . وصاحب أبو صفرة من أهله : النجف والمغيرة وحبيب <sup>١٨</sup> ، وتمكن عثمان بن أبي العاص بهذه الحملة من هزيمة القوات الفارسية في الخليج واستولى على جزيرة ابن كاوان ، وطارد الفرس حتى الضفة الشرقية للخليج وأوقع بهم الهزيمة في كرمان ،

(١٥) الأنساب ، ص ١٢٣ ، حفة ، ص ٦ .

(١٦) بن عرمان من بطون الأزد نسبة إلى عمرو بن عدي بن حارثة بن عمرو بن حامد . ( انظر :

تاريخ البغدادي ، ج ١ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ )

(١٧) الأنساب : ص ١٢٢ .

وأظهر أبو صفرة وأبناؤه ورجاله شجاعة وبسالة خلال هذه المعركة<sup>(١٨)</sup>.

واستمر أبو صفرة يشارك في المعارك التي خاضها المسلمين في الجبهة الفارسية في عهد عثمان بن عفان ، فيروى أبن خلدون أن عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين إلى فارس في الفين فسار إلى « توج » - مدينة بفارس - وعلى مجنبيه جارود العبدى وأبو صفرة والد المهلب ، وكان كسرى أرسل أحد قواده ويدعى « شهرك » في الجنود للقتالهم ، فالتقوا بتوج وانتهى الأمر بهزيمة غرس وقتل قاتدهم « شهرك » وطاردهم المسلمون إلى « سابور » وحاصروها حتى خضع أهلها للصلح<sup>(١٩)</sup>.

وبعد هذا الانتصار نزل أبو صفرة في توج واتخذها مقرا له مع أهله وجنته ولكنه انتقل بعد ذلك للإقامة في البصرة في خلافة عثمان بن عفان فرحب به واليها في ذلك الوقت عبد الله بن عامر<sup>(٢٠)</sup>. وضم فرقاً الأزد اليه لتكون تحت قيادته في البصرة<sup>(٢١)</sup>.

---

(١٨) تحفة ، ص ٤٦.

(١٩) تاريخ ابن خلدون ، م ٢ ، ص ٩٨٩ (بروت ١٩٨٦) ، قارن : تاريخ الطبرى ، ج ٢ ، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٢٠) ابن حذيفة عسان ، تولى البصرة ومته ٢٥ عاماً بعد عزل أبي موسى الأشعري ( ابن ل Hugh ، الفتوحات ، م ١ ، ص ٣٢٦ ) .

(٢١) الأنساب ، ص ١٢٥ ، تحفة ، ص ٤٨ .

ويأتى ذكر المهلب بن أبي صفرة فى ذلك الوقت لأول مرة فى الحملة التى قادها عبد الرحمن بن سمرة القرشى ( ابن عم عبد الله بن عامر والى البصرة ) الذى ولأه الخليفة عثمان على سجستان ، وقد شارك فى الحملة على سجستان أبو صفرة وابنه المهلب ويقال أنه كان يبلغ من العمر فى ذلك الوقت حوالى عشرين عاما ، وبعد معارك عنيفة استولى المسلمون على سجستان ، ثم توجه المسلمون بعدها إلى كابل وكان المهلب أحد أبطال المعارك حول كابل حيث تمكן من اصابة ملك كابل أثناء المعركة مما أضطره إلى الإسلام وعقد الصلح مع المسلمين ، وأعلن إسلامه <sup>(١)</sup> .

وتتفق هذه الحملة مع ما ذكره الطبرى فى أحداث سنة ٣٥ هـ حيث أشار إلى حملة شارك فيها المهلب بن أبي صفرة ، وهو أول ذكر للمهلب فى تاريخ الطبرى <sup>(٢)</sup> . ويؤكد تسلسل الأحداث ما رواه العوتى من أن أبو صفرة غزا مع عبد الرحمن بن سمرة القرشى خراسان بالقوات التى كان قد خرج بها من عمان ، ثم عاد من غزوه هذه فى خلافة على بن أبي طالب <sup>(٣)</sup> .

**والتقى أبو صفرة فى مدينة البصرة بال الخليفة على بن أبي طالب**

(١) نظر : قداسه بن جعفر ، الخراج ، ص ٣٩٤ ، ابن لعزم ، الفتوحات ، ١ ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٢) تاريخ الطبرى ، ج ٤ ، ص ٤٠٣ .

(٣) الأنساب ، ص ١٢٥ .

في أعقاب موقعة الجمل ، ودار بينهما حوار يفهم منه أن أبي صفرة كان زعيماً لقبائل الأزد في العراق في ذلك الوقت ، لأن علياً عندما أظهر شكواه مما قاساه من قومه ، قال له أبو صفرة : « والله يا أمير المؤمنين لو كنت حاضراً ما أختلف عليك منهم سيفان » فطلب على من أبي صفرة أن يأتيه بأحد أبنائه ليعقد له لواء أمان للذين هربوا بعد موقعة الجمل ، ليرجعوا إلى بلادهم ورفض النجف بن أبي صفرة أن تستند له هذه المهمة لأنه كان حائقاً على نتائج موقعة الجمل ، فوافق المهلب على القيام بهذا الدور ، فعقدت رأية الأمان للمهلب ، ورجع معظم الفارين إلى البصرة « ربمن الناس بلواء المهلب » (٢٥) .

ونحن لا نعلم تاريخ وفاة أبو صفرة ، إلا أنه توفي بالبصرة في أثناء ولادة عبد الله بن العباس لعلي بن أبي طالب على المدنية ، ويقال أنه توفي في مسيرة إلى صفين (٢٦) . مما يرجع أن تكون وفاته حوالي سنة ٣٧هـ .

ليست هناك اشارة واضحة في المصادر التي بين أيدينا عن الشخص الذي تولى رئاسة أسرة أبي صفرة في أعقاب وفاته ، ولكن الدليل توحى أن أهم الشخصيات في هذه الأسرة آنذاك كانت ابنته

(٢٥) راجع التفاصيل : الأنساب ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢٦) أنساب ١٢٧ ، تاريخ المهلب ، ٢٥ .

(٢٧) مروي ابن خلkan أن المهلب من أصغر ولد أبي صفرة ، وحدد مولده قبل وفاته التي يسْتَدِّيْنَ (وفيات ، ج ٥ ، ص ٣٥١) .

المهلب ، فرغم صغر سنه بالمقارنة بأخوه<sup>(٢٧)</sup> . إلا أنه قد برع في مجال الحرب والفروسية ، وعلت منزلته – كما أشرنا في الصفحات السابقة – فكان هو المرشح الأول لتولى زعامة الأسرة بعد وفاة أبيه ، ويرجح هذا ما ترويه المصادر عن مشاركته في غزو بلاد الشند سنة ٤٤هـ ، وخاض خلال ذلك معركة عنيفة ضد جماعة من فرسان الأترالك ، وتمكن ببراعة من أن يقضي عليهم جميعاً<sup>(٢٨)</sup> . وكان المهلب خلال هذه الفترة يقود جيشاً من أهل الأزد<sup>(٢٩)</sup> . مما يشير إلى أنه قد خلف آباء أيضاً في قيادة ما كان تحت من جند .

وفي رواية للبيعوني أن معاوية بن أبي سيفان كتب إلى زياد بن أبيه والي الكوفة : أن قبلكم رجلاً من أصحاب رسول الله فوله خراسان وهو الحكم بن عمرو الغفارى ، فولاه زياد خراسان فغزا (هراء) وفتح (الجزرجان) وكان يشاركه في المعارك المهلب بن أبي صفرة<sup>(٣٠)</sup> . الذي أظهر بأساً ومهارة في قتال العدو .. واستمر المهلب يجاهد في هذه الجبهة في المناطق الوعرة ضد أشد العناصر السكانية قرة وضراوة في القتال . فعندما غزا الحكم بن عمرو الغفارى جبال الترك سنة ٤٧هـ كان المهلب أحد قواد هذه الحملة ، وفي مرحلة من المعارك وقع جيش الحكم في كمين للأترالك فأخذ عليهم الترك الشعاب والطرق ، وعندما تخرج موقف الحكم أسدت القيادة إلى المهلب

(٢٨) الترمذى . نهاية الأربع . ٢٠٠ من ٢٢٦ .

(٢٩) البلاذرى . فتح البلدان . من ٥٣١ .

(٣٠) تاريخ المغاربة . ج ٢ . من ٢٢٢ .

بن أبي صفرة ، الذي نتمكن عن طريق العحيلة والتدبير من أسر أحد عماء الترك ، وساومه على حياته في مقابل أن يدخلهم على مخرج من الكمين ، وتمكن عن طريقه من النجاة بجيشه وما يحمله من غنائم من الحصار الذي فرضه عليهم الترك <sup>(٣١)</sup> .

ويبدو أن ما أظهره المهلب بن أبي صفرة من مهارة قتالية وحسن تصرف وحنكة في المواقف العصبية ، يجعله أحد القادة المشهورين في حروب الجبهة الشرقية ، فكان الولاية على خراسان يتمسكون بأن يكون في صحبتهم المهلب بن أبي صفرة ، فعندما تحرك سعيد بن عثمان بن عفان سنة ٥٥٦ هـ لولاية إقليم خراسان كان من بين قواده المهلب بن أبي صفرة <sup>(٣٢)</sup> . وقد شارك المهلب في العديد من المعارك العنيفة في هذه الفترة وخاصة غزو سمرقند ، ويقال أن سعيد بن عثمان والمهلب قد فتحتا عيناهما خلال المعركة <sup>(٣٣)</sup> .

وفي خلافة يزيد بن معاوية ، ولد على خراسان وسجستان سلم بن زياد سنة ٦١ هـ ، الذي خرج من الشام طالباً البصرة ليحمل معه أهله وولده ، وليعلم أهل البصرة بولايته بلاد خراسان ، ليخرج معه من أحب الجهاد فخرج معه المهلب بن أبي صفرة وعدد من سادات البصرة

---

(٣١) راجع : نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٢٦٧ . قارن : تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٥١ الذي يروى هذه الحادثة في أحداث سنة ٥٠ هـ .

(٣٢) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٣٠٥ .

(٣٣) راجع : بلافري ، فرج ، ص ٥٠٨ .

وفرضها (٢١) . وزحفت جيوش سلم بن زياد على بخارى ، وكانت عليها ملكة تدعى « خاتون » ، فلما شعرت بالخطر ، أعلنت رغبتها فى الزواج من ملك الصفدر على أن يأتي لملك بخارى ، والوقوف فى وجه المسلمين ، فأقبل ملك الصفدر فى مائة وعشرين ألف مقاتل ، وأمام هذا العدد الضخم رأى سلم ابن زياد أن يجعل على طليعة جيشه المهلب بن أبي صفرة ، وبعد معارك عنيفة تمكّن المهلب من العاقد الهزيمة بجيشه الترك وقتل ملك الصفدر في المعركة (٢٠) .

استمر سلم بن زياد على خراسان ، حتى وفاة يزيد بن معوية فى صفر سنة ٦٤ هـ (٢١) ، وأراد سلم بن زياد أن يكتسم خبر موته خوف الفتنة بين القبائل ولكن الخبر ذاع في الناس بعد فترة وكان خليفته معاوية الثاني قد مات هو الآخر ، فدعاه سلم الناس إلى البيعة على الرضا حتى تستقيم أمور الناس على خليفة ، فبايعوه ، ثم نكثوا بعد شهرين (٢٢) . فلما تآزمت الأمور أمر سلم بن زياد خرج من خراسان واستخلف عليها المهلب ابن أبي صفرة ، ولكن المهلب كان مدركاً لحقيقة الصراع القبلي المحتم في خراسان وفي الشام ، فلم يشا أن يقحم نفسه في هذا الصراع ، لاماً بما أن معظم القبائل وخاصة القيسية لم تكن راضية عن

(٢١) تاريخ المغاربي ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، آمن أعلم ، م ٣ ، ص ١٥٧ - ص ١٥٩ .

(٢٥) تاريخ المغاربي ، ص ٢٥٢ .

(٢٦) آمن أعلم ، م ٣ ، ص ١٥٩ .

(٢٧) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٥٤٥ .

اسناد ولاية خراسان الى المهلب ، فيروى التویری <sup>(٢٨)</sup> . أن سلم بن زياد لقى في طريق عودته من خراسان في مدينة سرخس سليمان بن مرثد (أحد بنى قيس بن ثعلبة) فقال له : أضاقت عليك نزارحتي خلفت على خراسان رجلاً من اليمن ، يعني المهلب ، فما كان من سلم إلا أن ولاه بعض أقاليم خراسان وهي مرو الروز والفاریاب والطالقان والجوزجان ، وولى أوس بن ثعلبة هراة . وفي نیسابور لقى سلم بن زياد عبد الله بن خازم السلمى وكان أحد الأشراف الذين صحبوه عند ولايته خراسان <sup>(٢٩)</sup> . فسأله من وليت خراسان ؟ فلما أخبره قال : أما وجدت في مضر رجلاً تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل ومزون عمان <sup>(٣٠)</sup> . وطلب منه أن يكتب له عهداً على خراسان ، فكتب له <sup>(٣١)</sup> .

وتوجه عبد الله بن خازم إلى مرو عاصمة خراسان ، وبلغ خبره المهلب الذي رأى أن خراسان مقبلة على فترة حرجة من الصراع القبلي من أجل السيطرة وفرض السيادة عليها ، وحسم المهلب أمره على إلا يكون طرفاً في هذا الصراع ، ولا سيما وأن النزاع كان على أشدّه في الشام حول منصب الخليفة ، ويبدو أن ذكاء المهلب السياسي قد هدأه

(٢٨) نهاية الأربع ، ٢٠٠ ص ٥١٣ .

(٢٩) تاريخ المغريبي ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٣٠) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٥٤٦ .

(٣١) التویری ، تفه .

الى التخلّى عن منصبه المؤقت كوال لخراسان فاستخلف عليها هرفةجة بن الورد (من بني جشم بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم) وانسحب من خراسان في سلام ، ورؤكـد حسن نصر المهلب في هذا الموقف وانسحابه من خراسان ما رواه الطبرى ١ لما مات يزيد بن معاوية ، ومعاربة بن يزيد ، وثب أهل خراسان بعمالهم ، وغلب كل قوم على ناحية ووقيـت الفتنة ، وغلب ابن خازم على خراسان ووـقعت العرب (٤٢) .

---

(٤٢) قالـخ الطبرى .. نفسه .



## الفصل الثاني

آل المهلب وثورة عبد الله بن الزبير



## الفصل الثاني

### آل المهلب وثورة عبد الله بن الزبير

عاد المهلب من خراسان سنة ٦٤ هـ واستقر في مقره بالبصرة مع رجاله ، ويظهر من الروايات التي بين أيدينا أن عبد الله بن الزبير كان يعرف قدر المهلب وأهمية أن ينضم رجل مثله إلى صفوفه ، وبخاصة في أن يجذبه للقائه في مكة حيث تشارر الرجالان . فيروى ابن خلkan أنه أثناء خلوة عبد الله بن الزبير بالمهلب يشاربه ١ فدخل عليه عبد الله بن صفوان ابن أمية بن خلف .. فقال : من هذا الذي شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا ؟ قال : أوج ما تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا سيد أهل العراق ، قال : فهو المهلب بن أبي صفرة ٢ " . ويبدو أن هذه المشاورات قد أسفرت عن اقتناع عبد الله بن الزبير للمهلب بأن يتولى خراسان نائبا عنه .

وقد أثار هذا الأمر جدلا حول أخلاقيات آل المهلب نتيجة تحولهم من ولاء إلى ولاء ، فبعد أن كانوا يعملون تحت راية الدولة الأموية تحولوا إلى أعدائهم من آل الزبير .

وفي اعتقادى أن العلاقة بين المهابة وثورة عبد الله بن الزبير كانت علاقة طبيعية ومنطقية ، فالمهابة منذ ظهورهم على مسرح

(١) وفيات ، ج ٥ ، ص ٣٥١ .

الأحداث كانوا يمثلون أسرة محاربة يتسم قادتها بالشجاعة والبطولة في ميدان الحرب والجهاد وكانت مناطق نشاطهم في هذه الفترة التي نحن بصددها في أقاليم العراق وما يليها شرقاً ، ولما كانت معظم هذه المناطق قد أصبحت - بصورة أو بأخرى - ضمن نفوذ عبد الله بن الزبير ، فإنه كان من الطبيعي أن يسعى ابن الزبير إلىضم القادة البارزين في هذه المناطق إلى جانبه ، ومنهم آل المهلب . وما ساعد على ذلك غياب التأثير الأموي ، وانقطاع أجزاء كبيرة من الدولة ، وانشغال الأمويين بقضية الوراثة والبحث عن خليفة بعد موت معاوية الثاني .

وكانت خراسان في ذلك الوقت ما زالت في حالة اضطراب ، فأقبل المهلب إلى البصرة في طريقه إلى خراسان ٦٥ هـ بتكليف من عبد الله بن الزبير ، وكانت شوكة الأزارقة بقيادة نافع بن الأزرق قد اشتدت على المدينة ، مما اضطر أمير البصرة عبد الله بن الحارث إلى محاولة صد الأزارقة عن مدنته ، ودارت المعارك العنيفة بين الجانبين ، ورغم مقتل زعيم الأزارقة سنة ٦٥ هـ إلا أن الحرب استمرت وكانت الغلبة فيها للأزارقة الذين تمكنا من الأقتراب بقواتهم من البصرة وأصبحت قرية المنال « فأئن أهلها الأخف ابن قيس وسألوه أن يتولى حربهم ، فأشار عليهم بالمهلب بن أبي صفرة »<sup>(٢)</sup> .

وفي هذه الأثناء كان المهلب قد قدم من قبل عبد الله بن الزبير

---

(٢) راجع : ابن أثيم ٣٠ م ، ص ٢٠١ ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

حاملا تقليده، ولابة خراسان فخرج اليه أشراف أهل البصرة وكلموه في حرب الأزارقة ويفهم من رواية اليعقوبي المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها المهلب في البصرة وبين أهلها ، فمن بين ما قاله أهل البصرة للمهلب في هذا الموقف « أنت شيخ الناس وسيف العراق ، وقد ترى ما فيه أهل مصرك من هذه الخوارج المارقة ، والأقامة على منع بلدك والذب عن حريمك أولى من خراسان »<sup>(٣)</sup>. ويبدو أن المهلب رغب في أن يكون تصدية للأزارقة بتكليف رسمي من جانب عبد الله بن الزبير ، وتشير المصادر الى كتاب وصل الى المهلب من ابن الزبير بتأجيل ولاته على خراسان واسناد مسؤولية التصدي للأزارقة له ، وجاء في هذا الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عند أمير المؤمنين ( عبد الله بن الزبير ) .. فإن عاملى بالبصرة كتب إلى كتاباً يذكر فيه أن قوماً من خوارج الأزارقة المارقة .. قد عزموا على أن يقبلوا إلى أرض البصرة لقتل الرجال وأخذ الأموال وهتك العرائض وسب الذريعة ، وقد رأيت أن نكون أنت الذي تلقي قتالهم ، لأنك ميمون الطلعة ، مبارك على أهل مصرك ، والأجر في ذلك أعظم من كل أجر ، فسر رحمك الله راشداً ، فإنه لن يفوتك من سلطاناً خراسان ولا غير خراسان »<sup>(٤)</sup> .

(٣) تاريخ البغدادي ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٤) راجع : تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٦١٥ - ٦١٦ ، ابن لثيم ، م ٣ ، ص ٢٠٢ .

ولكن المهلب علق موافقته على حرب الأزارقة والتصدى لهذه المهمة الخطيرة بشروط ، فقال : « والله ما أسيير اليهم الا أن يجعلوا الى ما غلبت عليه ويعطونى من بيت المال ما أقوى به من معى ، فأجابوه الى ذلك <sup>(٥)</sup> . وكتبوا بذلك وأرسلوه الى عبد الله بن الزبير فامضاه <sup>(٦)</sup> .

ويفهم مما سبق أن المهلب كان حريصا على أن تكون حركته في اتجاه الأزارقة بموافقة جميع الأطراف ، وفي نفس الوقت أن يؤمن لجيشه حاجته من التمويل خلال المعارك التي كان يتوقع لها أن تستغرق وقتا طويلا ، لذلك كان حرصه على أن يكون له ايراد الأراضي التي تقع في يده ويستردها من الأزارقة .

وتمكن المهلب من حشد جيش يقدر بحوالى اثنى عشر ألفا <sup>(٧)</sup> . معظمهم من قومه أزد عمان ، ونظر في بيت مال البصرة فكان لا يفي بحاجة الجندي ، فتفاوض المهلب مع تجار البصرة ، وأوضح لهم أن بخاراتهم قد كسرت لانقطاع مواد الأهواز وفارس ، وتوقفت حركة التجارة لسيطرة الأزارقة على هذه المناطق ، وسائلهم معاونته بالمال . ووعدهم بأن يمكنهم من بخاراتهم ويرد لهم حقوقهم ، فاستجاب تجار البصرة « وأخذ المهلب من المال ما يصلح به عسكره » <sup>(٨)</sup> .

(٥) تاريخ المغاربة ، ج ٢ ، ٢٦٥ ، نهرى ، نهاية الأربع ، ج ٢٠ ، ص ٢٢٤ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٩٦ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٩٦ .

(٨) المبرد ، الكامل ، ص ٢٢٦ .

وهكذا نصدى المهلب لمهمة حرب الأزارقة ابتداء من سنة ٦٥ هـ  
وستصبح هذه المهمة أهم مشاغله فيما تلا ذلك من سنين حتى في  
الفترات التي سوف تسند فيها هذه المهمة إلى غيره - وهي قليلة - فقد  
كان يتابع الأحداث ، ويسدى النصح ، ويدى الرأى . وقد دارت بين  
آل المهلب وبين الأزارقة في هذه المرحلة معارك ضارية كانت فيها  
انتصارات وهزائم ، وظهرت فيها بطولات وتضحيات عظيمة من كلا  
الطرفين ، وسجلتها بالتفصيل معظم المصادر التي بين أيدينا وبعدها من  
هذه المعارك ما يلقي الضوء على موضوعنا .

شارك آل المهلب منذ البداية في جيش المهلب الذي تحرك من  
البصرة سنة ٦٥ هـ فكان على ميمنته ابنه يزيد وحبيب ، وعلى ميسرته  
ابناء المغيرة وقبضة ، وعلى جناح ميمنته ابنه عبد الملك ، وعلى جناح  
ميسرته ابنه المفضل وفي كمينه ابنه زياد ومروان ، وبين يديه ابنه محمد  
وآخره المارك بن أبي صفرة <sup>(١)</sup> .

وقبل بداية المعارك ضد الأزارقة ، كان على المهلب أن يوضح  
أهداف الحرب ودور الرجال وأهمية تضحياتهم ، فوقف بين رجاله ،  
ووجه كلامه إلى بنيه وهو يعني جميع الجنود ، وقال لهم « يا بنى : أن  
أول غزوكم انصافكم لا خوتكم من المسلمين ، وأن تواسمون  
بأنفسكم ... فباشروا الحرب بأنفسكم ، واستقبلوا حر السيف بوجوهكم

---

(١) ابن أعتم ، ٣ ، ٢٠٤

وَسَنَانُ الرِّماحْ بِصَدْرِكُمْ وَنَحْرُوكُمْ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهَا مَتَّلَتَانْ : إِمَّا شَهَادَةْ ،  
وَإِمَّا ظَفَرْ ، <sup>(١٠)</sup> .

وكان على المهلب في بداية المعارك أن يزيع الأزارقة الذين كانوا يرابطون على الضفة الشرقية لنهر الفرات . وأن يعيد الجسر الذي يربط الضفتين ، ليتمكن من العبور بجيشه ، فأرسل ابنه المغيرة في السفن ، ونزل المغيرة على الضفة الشرقية للنهر وحارب الأزارقة فشغلهم وازاحهم عن مواقعهم حتى تمكن المهلب من إعادة عقد الجسر وعبر بكامل جيشه مما اضطر الأزارقة إلى الانسحاب ، فنهى المهلب أصحابه عن اتباعهم <sup>(١١)</sup> .

وكان سياسته المهلب العسكرية في تعامله مع الأزارقة ، تعتمد على التريث ، ودراسة الموقف بدقة ، وعدم التسرع في الأشتباك أو خوض معارك قد تؤدي إلى نتائج عكسية ، فأقام المهلب في موقعه أربعين يوماً يجبي الخراج وينظم قواته ، وأتت سياسته نتائجها في تقوية جيشه ، وتقوية جسور الثقة بينه وبين أهل البصرة وخاصة التجار ، فقضى المهلب التجار وأعطي أصحابه ، فأسرع إليه الناس رغبة في مجاهدة الأزارقة ، ولما في الغنائم والتجارات ، <sup>(١٢)</sup> حتى بلغ عدد قواته خلال هذه المدة ما يزيد على عشرين ألفاً <sup>(١٣)</sup> .

(١٠) نفسه .

(١١) للبرد ، ص ٢٢٧ .

(١٢) نفسه .

(١٣) الحميري ، الروض للمطار ، ص ٢٤٨ ( بيروت ١٩٨٣ ) .

وبع المهلب الأزرقة في حذر ، وكانتوا قد انسحبوا إلى الأهواز ،  
ورغم ما نحت يده من جيش كثيف إلا أنه كان حذرا ١ ولهذا نزل  
المهلب بالقوم خندق عليه ، ووضع المسالح ، وأذكى العيون ، وأقام  
الأحراس .. وأبواب الخنادق عليها رجال موكلون بها ، فكانت الأزرقة  
إذا أرادوا بيات المهلب ، وجدوا أمراً محكماً ، فرجعوا ، فلم يقاتلهم  
إنسان قط كان أشد عليهم ولا أغيب لهم منه ٢ . ولم يكن  
المهلب يكتفى بهذا بل كان يدس الجواسيس إلى عسكر الأزرقة فيعرف  
أخبارهم وتحركاتهم ٣ .

ودارت معارك عنيفة في منطقة الأهواز وما حولها بين الطرفين ،  
وبرز فيها آل المهلب الذين كانوا يخوضون المعارك بين  
جنودهم وقتل خلال هذه الفترة ٤ المبارك بن أبي صفرة ٥ بالقرب من  
نهر تيري ٦ ، ويبدو أن الأزرقة أرادوا أن يحسموا الموقف لصالحهم  
فتجمعوا بكل حشودهم وأسلحتهم ، ليخوضوا معركة فاصلة ضد  
المهلب ، وكان تجتمعهم في منطقة ٧ وسليرى ٨ بالأهواز ٩ .

ويفهم من وصف الطبرى لجيش الأزرقة آنذاك أنهم كانوا  
يتفرقون على جيش المهلب في السلاح والعتاد ١٠ .. وجاءوا لهم أحسن

(١) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٦١٧ ، الروض ، ص ٢٢٨ .

(٢) البرد ، ص ٢٢٨ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٩٧ ، نهاية الأربع ، ج ٢٠ ، ص ٣٢٥ .

(٤) البرد ، ص ٢٢٢ .

عدة ، وأكرم خيولا ، وأكثر سلاحا من أهل البصرة،.. فجاءوا وعليهم مغافر تضرب إلى صدورهم ، وعليهم دروع يسحبونها وسوق من زرد يشدونها بكلاليب الحديد إلى مناطقهم ١٨٠ .

والتقى الجيشان في معركة قاسية ، وكثف الأزارقة هجومهم على جيش المهلب حتى أحدثوا اضطرابا شديدا في صفوفه ، وكادت الهزيمة أن تخيق بجيش المهلب ١ وضرب المهلب على رأسه ضربة منكرة فسقط عن فرسه إلى الأرض وأحدقت به بنوه فجعلوا يحامون عنه أشد المحاما .. ٢ . واستغل الأزارقة الموقف لبث الرعب في جيش المهلب ، فنادى مناديهم : « ألا ان المهلب قد قتل » ٣ . فكان لهذا النداء تأثيره على معنويات الجنود لولا أن تدارك المهلب الموقف وصعد إلى تل قريب من ميدان المعركة ٤ وأخذ ينادي في شباب الأزد وفتیان البحمد ٥ ؛ أغيرونا جماجمكم ساعة من نهار ٦ . « فشاب اليه جماعة من قومه أهل عمان ٧ . فاجتمع اليه منهم نحو ثلاثة آلاف سماهم الطبرى ٨ سرية عمان ٩ .

(١٨) طبرى ، ج ٠ ، ٥ ، من ٦١٨ حوادث سنة ٦٥ ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٩٩ .

(١٩) ابن أثيم ، م ٣ ، ٣ ، ص ٣٠٦ .

(٢٠) البرد ، ص ٢٢٥ .

(٢١) البحمد من الأزد والخليل من بهن منهم يقال له الفرايد ( البرد ، ص ٢٣٦ ) .

(٢٢) طبرى ، ج ٥ ، من ٦٢١ - ويكمل الطبرى الرواية فيقول : فأخذ خيان منهم يكررون ثيفاتلون ثم يرجعون إليه ويقولون : يا أبا علامة ، القبور تستعار ! .

(٢٣) الروض ، ص ٢٤٨ ، البرد ، ص ٢٣٤ .

(٢٤) طبرى ، ج ٠ ، ٥ ، من ٦١٨ .

وقف المهلب في هذه السرية بين قومه وقد شعر بالأمان والرضا ، وألقى فيهم كلمة تعبّر عن ثقته الكاملة في هذا العدد الصغير من رجاله الصامدين ، فهم خير من الذين أعطوا ظهورهم للأزارقة عندما احتملوا القتال ، وفروا في اتجاه البصرة ، وقال المهلب « فَإِنَّ اللَّهَ رَبِّمَا يَكُلُّ  
الجَمْعَ الْكَثِيرَ إِلَى أَنفُسِهِمْ فَيَهُزُّهُمْ وَيَنْزَلُ النَّصْرَ عَلَى الجَمْعِ الْبَيْسِيرِ  
فَيُظْهِرُهُمْ وَلِعُمْرِي مَا بِكُمْ أَنَّ مِنْ قَلْةٍ إِنِّي لِجَمَاعَتِكُمْ لِرَاضِ  
وَأَنْكُمْ لَأَنْتُمْ أَهْلُ الصَّابِرَةِ وَفَرَسَانُ أَهْلِ الْمَصْرِ وَمَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَحْدَى مِنْ  
أَنْهَزَمْ مَعَكُمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا فِيهِمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا » (٢٥) .

وأراد المهلب أن يعرض قلة جيشه بالنسبة لجيش الأزارقة ، فأمر أصحابه بالإستعداد للهجوم استغلالاً لفرصة مطاردة بعض فرسان الأزارقة للمنهزمين من رجاله في اتجاه البصرة ، وأمرهم أن يجهز كل رجل عشرة أحجار وأن يعد معالي لهذه الحجارة ، لمواجهة الأزارقة بضربات الحجارة « .. فِي وَقْتِ الْغَفْلَةِ ، فَانْهَا تَصْدِ الدَّفَارِسِ وَتَصْرُعُ  
الرَّاجِلَ » (٢٦) . وزحف المهلب برجاله إلى الأزارقة ، فما شعروا إلا والمهلب يهاجمهم والحجارة تستعرض وجدهم من كل جانب ورجاله تخبط بهم وتعمل فيهم القتل ولم يمض إلا وقت قصير حتى قتل زعيمهم عبيد الله بن الماحوز ، وقتلت أعداد كثيرة من الأزارقة واستولى المهلب على معسكرهم وما فيه (٢٧) . وقد حقق آل المهلب

(٢٥) نفسه .

(٢٦) البرد ، ص ٢٣٥ .

(٢٧) الروض ، ٤٤٨ .

وَقُومُهُمْ مِنْ أَهْلِ عَمَانِ النَّصْرِ الْحَاسِمِ فِي هَذِهِ الْمَعرِكَةِ عَلَى الْأَزْارِقَةِ ،  
وَكَانَ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْمَهْلَبَ أَحَدُ الْأَبْطَالِ الْمَشْهُودُ لَهُمْ خَلَالُهَا ، فَوُصِفَهُ ابْنُ  
أَعْثَمَ بِأَنَّهُ كَانَ « أَشَدُ مَا تَكُونُ الْحَرْبُ ، أَشَدُ مَا يَكُونُ تَبْسِمًا » (٢٨) .

وَكَانَتْ أَخْبَارُ هَزِيمَةِ الْمَهْلَبِ فِي بَدْءِ الْمَعرِكَةِ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى  
الْبَصَرَةِ ، وَتَنَاقَّلَ النَّاسُ خَبْرُ قَتْلِ الْمَهْلَبِ ، وَنَعِيَ بِالْبَصَرَةِ ، فَنَسِيَ النَّاسُ  
رِجَالَهُمْ وَأَقَامَ أَهْلَ كُلِّ دَارٍ يَكُونُ الْمَهْلَبُ لَا يَسْأَلُونَ عَنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ ،  
وَاجْتَمَعَ بَعْضُهُمْ فِي مَسْجِدِ الْبَصَرَةِ يَكُونُ (٢٩) . وَهُمْ مُعَظَّمُ النَّاسِ بِالنَّقلَةِ  
إِلَى الْبَادِيَةِ خَوْفَ السَّلْبِ وَالنَّهْبِ مِنْ جَانِبِ الْأَزْارِقَةِ الَّذِينَ تَوَقَّعُوا  
إِقْتِحَامَهُمْ لِلْمَدِينَةِ بَيْنَ لَحْظَةٍ وَآخَرِيَّ ، لِذَلِكَ مَا كَادَ الْمَهْلَبُ يَوْقَعُ  
بِالْأَزْارِقَةِ حَتَّى بَعَثَ الرَّسُولُ إِلَى الْبَصَرَةِ لِيُبَشِّرَ أَهْلَهَا بِالْنَّصْرِ وَيَعْلَمُهُمْ  
بِسَلَامِهِ ، وَكَتَبَ كِتَابًا بِذَلِكَ إِلَى وَالِي الْبَصَرَةِ ، فَأَقَامَ النَّاسُ ، وَتَرَاجَعَ  
مِنْ كَانَ قَدْ هَرَبَ مِنْهُمْ خَوْفَ الْأَزْارِقَةِ (٣٠) وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ فَقَدْ وَضَعَ  
الْمَهْلَبُ كَمَا تَنَاهَى مِنْ رِجَالِهِ وَفَرَسَانِهِ فِي طَرِيقِ عُودَةِ الْأَزْارِقَةِ الَّذِينَ كَانُوا  
يَطَّارِدُونَ فَلُولَ الْجَيْشِ الْمَنْهَزِمِ فِي اِتِّجَاهِ الْبَصَرَةِ فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَقَضَوْا عَلَى  
مُعَظَّمِهِمْ إِلَّا مِنْ فَرَّ مِنْهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةُ ٦٦ هـ (٣١) .

انْصَرَفَتْ فَلُولُ الْأَزْارِقَةِ بَعْدَ هَزِيمَتِهِمْ فِي « مَلِي وَسَلِيرِي » لِيَعِدُوا  
تَنظِيمَ صَفَوفِهِمْ مِنْ جَدِيدٍ وَيَدُوِّ أَنَّ الْأَزْارِقَةَ بَعْدَ الضَّرَبَةِ الْعَنِيفَةِ الَّتِي

(٢٨) ابْنُ أَعْثَمَ ، تَفَسِّرُ ، صِ ٢٠٨ .

(٢٩) الْرَّوْضَ ، صِ ٢٤٨ ، الْمِيرَدَ ، صِ ٢٤٠ .

(٣١) الْكَاملَ ، جِ ٤ ، صِ ١٩٦ - ٢٠٠ .

وجهها لهم المهلب في هذه المعركة ، قد أدركوا أنهم يحاربون المهلب في شخصه ، وأنه أخطر أعدائهم ، وأن حسن قيادته وذكائه العسكري ومقدراته الكبيرة على ادارة المعارك وتحويل الهزيمة الى نصر ، هي تدبر أهم أسباب نكباتهم في معركتهم الأخيرة ، لذلك عمد الأزارقة الى التخلص من المهلب ، ونصبوا كمينا لاغتياله وندبوا لهذه المهمة مائة فارس من خير فرسانهم ولكن المهلب كشف أمر الكمين ، وأفشل مادبره الأزارقة لقتله<sup>(٢١)</sup> ، وانسحب الأزارقة الى كرمان وأصبها ، وسيطر المهلب بذلك على أقليم الأهواز ، وأقام بقية سنة ٦٦ هـ يجبي الغراج وزرع الأرزاق على جنده ، وجذب الرخاء والعطاء السخي أعدادا كبيرة من أهل البصرة ، فأثبتتهم المهلب في الديوان ورزقهم حتى بلغت جيوشه ثلاثة ألفا<sup>(٢٢)</sup> وظل المهلب في موضعه بالأهواز مقينا على حرب الأزارقة حتى عزل الحارث بن عبد الله عن ولاية البصرة وولىها مصعب ابن الزبير من قبل أخيه سنة ٦٧ هـ<sup>(٢٣)</sup>.

وعندما أقبل مصعب بعث الى المهلب وهو على حرب الأزارقة رسالة يفهم منها التقدير الذي كان يحظى به آل المهلب بسبب جهودهم في صد خطر الأزارقة ، وجاء فيها : .. فان الناس لو أعطروا كل إنسان قدره لقدمت في العرب قاطبة غير مدافع .. فان طاعتك

(٢١) راجع التفاصيل : المرد ، ص ٢٣٩ .

(٢٢) تاريخ المغاربة ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٢٣) التبرى ، ج ٢١ ، ص ٤٤ .

وحسن بلائقك بلغ بك عندنا كل الذى نحب ، وما نرجو لك به من ثواب الله أجزل وأفضل ، وأنت عندنا الأمين ، ولنك بذلك عندنا الكراهة والفضيلة ،<sup>(٢٥)</sup>.

أراد مصعب بن الزبير مواجهة خطر حركة المختار بن أبي عبيد الشقى فى العراق على نفوذ الزبير بين ، ولا سيما وأن المختار بعد انتصاره على جيوش الأمويين وانتقامه من المشاركين فى مذبحة كربلاء ، كانت قد خضعت له الكوفة وسودادها الى حلوان والرى وما والاها ، وكانت الجزيرة بأجمعها فى قبضة ابراهيم بن الأستر ، وكان الأمويون يسيطرؤن على الشام ومصر أما عبد الله بن الزبير فكان مسيطرًا على الحجاز واليمن ، ومصعب واليا على البصرة والمهلب بن أبي صفرة من قبل مصعب قاتلًا على حرب الخوارج . وأدرك مصعب أهمية أن يتخلص من المختار حتى يصفو له العراق وكان يرغب أن يحشد لهذا الأمر أعظم قواه ، ومع علمه بخطورة الأزارقة على العراق الا أنه كان حريصاً على وجود المهلب الى جانبه في صراعه مع المختار ، فكتب مصعب كتاباً الى المهلب يخبره بعزمه على المسير الى الكوفة لحرب المختار ، ورغبتة في أن يكون معه ، وطلب منه أن يولى بعض أولاده حرب الأزارقة ويقبل اليه بالبصرة<sup>(٢٦)</sup> وأراد مصعب أن يتأكد من موافقة المهلب على الحضور اليه ، فأرسل كتابه مع أحد قادته الموثوق بهم ،

(٢٥) ابن أثيم ، م ، ٣ ، ص ٢٢٠ .

(٢٦) الترمذى ، ج ٢١ ، ص ٤٥ .

وهر محمد بن الأشعث بن قيس الكندي <sup>(٣٧)</sup> ليقنعه بأهمية وجوده بالبصرة في هذه الفترة الحرجة ، والتقوى ابن الأشعث بالمهلب بسايور، ويبدو أن المهلب كان كارهاً أن يترك موقعه في مواجهة الأزارقة <sup>(٣٨)</sup> ولكن ابن الأشعث شرح له خطورة الموقف في العراق ، فاستجاب المهلب .

قدم المهلب إلى البصرة <sup>١</sup> في تجمل عظيم ومال ورجال وعدد وعدد وجيش كثيف ، ففرح به أهل البصرة <sup>٢</sup> <sup>(٣٩)</sup> ، ورحب مصعب بقدوم المهلب إلى البصرة ، وتأهب لقتال المختار وجعل على كل قبيلة من قبائل العرب رئيساً منها ، فكان المهلب بن أبي صفرة على قبائل الأزد <sup>(٤٠)</sup> وتولى قيادة ميسرة الجيش <sup>(٤١)</sup> وأهلى المهلب ورجاله بلاء حسناً في حربهم ضد المختار <sup>(٤٢)</sup> وتمكن قوات مصعب بن الزبير بعد معارك عنيفة من التخلص من المختار الذي قتل أثناء القتال وسيطر مصعب على ما تحت يده من أملاك <sup>(٤٣)</sup> .

ويعود أن تخلص مصعب بن الزبير من خطر المختار ، كتب إلى

(٣٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، من ٣٠٨ (القاهرة ١٩٣٣) .

(٣٨) طبرى ، ج ٦ ، من ٩٤ .

(٣٩) ابن كثير ، نفه .

(٤٠) ابن أخرم ، م ٣ ، من ٢١٨ .

(٤١) ابن خلدون ، م ٣ ، من ٦٨ .

(٤٢) راجع التفاصيل : النبرى ، ج ٢١ ، من ٤٦ - ٤٨ .

(٤٣) ابن أخرم ، م ٣ ، من ٣٢٦ .

ابراهيم بن الأشتر يدعوه الى طاعته ، فأقبل اليه بالطاعة ، فولى مصعب المهلب بن أبي صفرة الأقاليم التي كان يسيطر عليها ابن الأشتر وهي الموصل والجزرية وارمينية وأذربيجان وعزله عن حرب الأزارقة ”<sup>(٤٤)</sup>“ ويبدو أن هدف مصعب من ذلك حسب رواية ابن خلدون «ليكون بينه وبين عبد الملك » <sup>(٤٥)</sup>.

ومن المرجح أن عزل المهلب عن حرب الأزارقة وتوليته مكان ابراهيم بن الأشتر لم يكن الهدف الحقيقي منه حماية العراق من الخطر المتوقع من عبد الملك بن مروان كما ذكر ابن خلدون ، ولعل مارواه ابن خلدون هو ما أعلنه مصعب لتبرير هذا التصرف ، لأن ابراهيم بن الأشتر - بما عرف عنه من حقد على الأمويين - وكان يمكنه أن يظل على مانتحت بيده ، وأن يتولى الوقوف بين العراق والشام ، والسبب الحقيقي وراء عزل المهلب عن حرب الأزارقة كما تشير المصادر هو أن آل المهلب كانوا موضع حسد من جانب عناصر كثيرة من أهل العراق ، ومن القصيدة على وجه التحديد لما حازوه من ثروات طائلة ، وما اتصفوا به من كرم وسخاء كان مضرب الأمثال ، وقد أتاح لهم ذلك ، الشرط الذي أخذه المهلب على الزبير بين قبيل بداية حرب الأزارقة سنة ٦٥ هـ بأن يجبي أموال الأقاليم التي يسيطر عليها ، والتي يستردتها من قبضة الأزارقة - كما سبق أن ذكرنا - بالإضافة إلى ما اتصف به المهلبة

(٤٤) طيري ٦٠، من ١١٢، الكامل، ج ٤، من ٢٧٥.

(٤٥) تاريخ ابن خلدون، م ٣، من ٧٢.

من بطولات خلال المعارك جعلتهم موضع تقدير واحترام الخاصة وال العامة ، ويظهر أن عناصر من العاقدين على المهلب دست عليه عند مصعب ، وقال قاتلهم «أن المهلب رجل يحب مطاولة العدو لما يجيئ من البلاد ، ولو عزلته ووليت غيره حرب الأزارقة لكان في ذلك هلاك العدو وتوفير المال على أمير المؤمنين »<sup>(٤٦)</sup> فاستجاب مصعب لهذا الرأي وأحدث تغييرا في القيادات فوجه عمر بن عبيد الله اب معمر التميمي على فارس ، وأسند إليه مهمة حرب الأزارقة وأمر المهلب بالتوجه إلى الموصل والجزيرة وأرمينية<sup>(٤٧)</sup> .

والواضح أن عمر بن عبيد الله كان مقتنعا بما قيل عن المهلب بن إطالة أمد الحرب لجيء الأموال ، وكان يظن أنه يمكنه أن يحسن نمارك مع الأزارقة في أقصر وقت ، فلما سار إلى خراسان كتب أبياتا جاء فيها:

بسابور أني لست مثل المهلب  
قل للأزارق الذين نجعوا  
يقاتلكم حتى اذا ما رأكم  
أقام فلم يبعد ولم يتقرب  
وكان أمرؤ يجيء الخراج بكبده  
يخرب أخلاق البلاد بمحلك  
فاطمعكم فيه تقارب خطوه  
اليكم وهذا منه شبه التلع<sup>(٤٨)</sup>

ولعل الغريب في هذا الأمر أن الذي رد على ابن معمر ودحض

(٤٦) ابن أثيم ، م ، ٣ ، ص ٢٢٠ .

(٤٧) طبرى ، ج ٦ ، ص ١١٩ ، الشيرسى ، ج ٢٠ ، ص ٥٢٥ .

(٤٨) ابن أثيم ، م ، ٣ ، ص ٢٢١ .

ادعاءه على المهلب في هذه الأبيات هو عبيدة بن هلال اليشكري أحد

زعماء الأزارقة فقال :

تأن ولا تعجل علينا ابن معمر فلست وان أكثرت مثل المهلب  
ولا لك في الحرب المهلب حظة ولا لك من يفديك بالأم والأب<sup>(٤٩)</sup>  
وهكذا يتضح ادراك الأزارقة لقوة شكيمة المهلب في الوقت الذي يطعن  
فيه ابن معمر في مقدراته العسكرية . وقد جنى ابن معمر نتائج سوء  
تقديره لقوة الأزارقة والمهالبة .. فلما تحرك بجيشه في اتجاه سابور ،  
وكان الأزارقة ترافق حركته وأفسحوا له الطريق حتى اقترب منهم ،  
وأسكوا عنه ومكتوه ، حتى اذا كان الليل إذ الأزارقة قد داهمته من  
أربع جهات ، على كل جهة منها رئيس من رؤسائهم : عبيدة ابن  
هلال اليشكري ، وعمرو القنا العنبرى ، وعطيية بن الأسود الحنفى  
وقطري بن الفجاءة المازنى ، واحتدم القتال بين الجانبيين ، وحمل  
قطري على ابن معمر وضريه بعمود على بيضته فهشمها على رأسه  
فولى هاربا حتى اختلط بأصحابه ، ورفعت الأزارقة المشاعل على رؤوس  
الجبال وأطراف الرماح فتحول الليل إلى نهار واستند القتال .. وفي هذا  
الموقف الصعب أدرك ابن معمر سوء تقديره وتسرعا ، فالتفت إلى رجل  
من عبد القيس كان قد شارك في حروب المهلب ضد الأزارقة ، وسأله  
كيف كان المهلب يهمنع في مثل هذا الموقف ، فرد عليه الرجل :

---

(٤٩) نفسه من ٢٢٢ - هكذا وردت الأبيات في المصدر

«أيها الأمير انه قد ذهب الرأى وبقى الصبر»<sup>(٥٠)</sup> وانهزم أصحاب ابن معمر هزيمة قاسية ، وأخذتهم سيف الأزارقة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وزحفوا على معكسرهم فاستباحوه وأخذوا كل ما فيه ثم رجعوا الى مقرهم في ساير بالغنايم .

والطريف في الأمر أن عمر بن عبيد الله بن معمر أراد أن ينحي باللائمة على جنده من أهل البصرة ويحملهم مسؤولية ما لحق به من هزيمة ، واتهمهم بعدم الأخلاص في قتال الأزارقة وهم تحت قيادته مثل أخلاقهم للمهلب ، واتهمهم بالتعصب وقال لهم : « انكم تقولون هذا رجل قرمي حجازي ، خيره لغيرنا وشره لنا »<sup>(٥١)</sup> ، فرد عليه أحد فرسان الأزد قائلاً : «أيها الأمير ، إن المهلب كان يقاتل بنا قتال الصعلوك ، ويسوسنا سياسة المثوك ، حتى سكنا إليه في الليل وأنسنا إليه في النهار »<sup>(٥٢)</sup> .

واستمرت المعارك بعد ذلك بين الأزارقة وبين ابن معمر واشتبك الجانبان في معارك غير حاسمة أسلوب المورخون في ذكر تفاصيلها<sup>(٥٣)</sup> ، وكان أهم النجاح للأزارقة في ذلك الوقت أن تمكنا من اختراق صفوف جيش ابن معمر إلى الأهواز مما أغضب مصعب بن الزبير عليه ، واضطر إلى الخروج بنفسه لحماية البصرة من الوقع في

(٥٠) راجع التفاصيل : ابن أثيم ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٥١) المفرد ، ص ٢٤٢ .

(٥٢) ابن أثيم ، م ٣ ، ص ٢٤٤ .

يدهم ، فاتجعوا الى الكوفة ولكن نائب مصعب عليها نمك من ردهم  
فادوا الى الرى واستولوا عليها بعد قتل واليها يزيد بن الحارث .

وأثناء ذلك قتل زعيم الأزارقة الزبير بن الماحرز فولوا عليهم قطرى  
بن الفجاءة الذى انسحب الى كرمان وجبي الأموال وأعاد تنظيم صفوفه  
ثم اتجه الى الأهواز وحقق سلسلة من الإنتصارات حتى أصبح يهدى  
البصرة ، وكان عامل البصرة لمصعب بن الزبير سنة ٦٨ هـ هر الحارث  
بن أبي ربيعة فكتب له بخطر الأزارقة على مدنته ونصحه بأن ليس لهم  
إلا المهلب <sup>(٥٤)</sup> .

ادرك مصعب بن الزبير الخطأ الذى وقع فيه عندما أرسل المهلب  
إلى الموصل وعزله عن حرب الأزارقة ، فاستدعاى مصعب المهلب من  
الموصل ، وأعاد إليه مهمة حرب الخوارج والمير إليهم وأعاد الوضع  
على ما كان عليه قبل ذلك بأن بعث إبراهيم بن الأشتر إلى عمله  
الأول . وجاء المهلب حتى قدم البصرة ، وانتخب الناس ، وسار بمن  
أحب ثم توجه نحو الأزارقة والتلقى بهم في معارك عنيفة في منطقة  
سولاف ، فاقتلوها بها ثمانية أشهر أشد قتال رأه الناس <sup>(٥٥)</sup> .

استمر المهلب في صراعه ضد الأزارقة حتى سنة ٧١ هـ وفيها  
تحرك الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الى العراق لضمها الى  
حظيرة الدولة الأموية ، وكان مصعب مقينا وقتها بالبصرة ويبدو أنه فكر

(٥٤) طبرى ، نفسه ، من ١٢٧ .

(٥٥) طبرى ، ج ٦ ، من ١٢٧ ، نميرى ، ج ٢٠ ، من ٥٢٧ .

في الأستعنة بالمهلب بن أبي صفرة ليقف بجانبه في هذا الوقت العصيب، ويقال انه استدعاه ليستشيره ويستعين به في تقدير الحالة ، وكان رأى المهلب أن يبقى مع مصعب حتى يمكنهما صد خطر عبد الملك ، ولا سيما أن أهل العراق قد مالوا الى جانبه وكتابوه<sup>(٥٦)</sup> . ولكن أهل البصرة كان لهم رأى آخر ، فقد اشترطوا على مصعب أنهم لن يسيروا معه لحرب عبد الملك بن مروان إلا اذا اطمأنوا على مصرهم من خطر الأزارقة ، وأن يظل المهلب على حربهم فقد كانت لهم تجرب سابقة في هذا الشأن وأثبتت المهلب انه القائد الوحيد الذي استطاع التصدى للأزارقة ومنع خطرهم عن البصرة ، وقال مصعب للمهلب « وأنا أكره اذا سار عبد الملك الى الا أسير اليه ، فاكفني هذا الثغر »<sup>(٥٧)</sup> .

ورغم أن مصعب بن الزبير قد حاول أن يحدّد جيئنا قويًا لمواجهة عبد الملك واستدعى ابراهيم بن الأشتر من الموصل وجعله على مقلعته في حربه مع عبد الملك<sup>(٥٨)</sup> الا أن عبد الملك تمكّن من ايقاع الفرقة بين أصحاب مصعب وانتهى الأمر بقتله<sup>(٥٩)</sup> ولما سمع أهل البصرة الذين كانوا يقاتلون الأزارقة دفعوا عن مصرهم خبر قتل مصعب ، بايعوا عبد الملك بن مروان ، وبائع قاتلهم المهلب بن أبي صفرة<sup>(٦٠)</sup> فكافأه عبد

(٥٦) نميري ، ج ٢١ ، ص ٥٠ .

(٥٧) نفسه ص ١٢١ ، قارن : الأغاني ، ج ١٧ ، ص ١٢٣ .

(٥٨) ابن خلدون ، م ٣ ص ٧٢ .

(٥٩) راجع التفاصيل ، طبرى ، ج ٦ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٦٠) نميري ، ج ٢١ ، ص ١٢٧ ، ابن خلدون ، م ٣ ص ٨٠ .

وأثنى عليه ثناءً كثيراً<sup>(٦١)</sup>.

ومكذا انتقل ولاء المهلب بن أبي صفرة من الزييريين إلى الأمويين في أعقاب مقتل مصعب بن الزبيز ، وسيطرة عبد الملك على العراق سنة ٧١هـ وما زال عبد الله بن الزبيز يصارع الأمويين من مقره في مكة ، ويبدو أن المهلب قد أدرك اتجاه رياح التغيير وأن الظفر في النهاية سيكون للدولة الأموية ، وقد حدث ما توقعه حيث قضى الأمويون على ثورة عبد الله بن الزبيز بقتله في مكة سنة ٧٣هـ<sup>(٦٢)</sup>.

---

(٦١) ابن سكر ، البداية ، ج ٨ ، ص ٣٤٨ .

(٦٢) راجع : طبرى ، ج ٦ ، ص ١٨٧ وما بعدها .

### **الفصل الثالث**

**ولاء آل الملهب للدولة الأموية حتى القضاء على  
الأزارقة (٢٧م)**



### الفصل الثالث

## ولاء آل المهلب للدولة الأموية حتى القضاء على الأزارقة (٧٢هـ)

ذكرنا أن المهلب بعد مبايعته لعبد الملك بن مروان سنة ٧١هـ ، اقره الأخير على أقليم الأهواز وشكره على موقفه من الجهاد ضد الخوارج الأزارقة وابني عليه . وفي سنة ٧٢هـ استعمل عبد الملك على ولاية البصرة ١ خالد بن عبد الله بن أسد ٢ الذي بادر إلى عزل المهلب عن حرب الأزارقة وأسند إليه خراج الأهواز ، ولم يستمع إلى نصيحة وجوه أهل البصرة بان يترك أمر حرب الأزارقة للمهلب لدرايته وخبرته بهم ، ولكن خالداً كان يحقد على المهلب لما وصل إليه من شهرة ، وما يتمتع به من تقدير الخليفة عبد الملك ، وقال لمن حوله من بنى عمومته : « يامعشر قريش .. والله لقد ذهب المهلب بحظ هذا المصر ، وأمير المؤمنين يظن أن أحدا لا يقوم مقام المهلب » ٣

وبعث خالد أخيه عبد العزيز بن عبد الله مكان المهلب على حرب الأزارقة ٤ على أمل أن يحوز بعض ما ناله آل المهلب من علو المكانة وتقدير الخليفة الأموي . ولذلك النتائج كانت مخيبة للأمال إذ خرج عبد العزيز في اتجاه فارس وجعل يطوي البلاد حتى وصل مدينة يقال لها جور ٥ من أرض فارس ، فأرسل له قطري بن الفجاءة زعيم الأزارقة أحد

(١) ابن أثيم ، م ، ٣ ، ص ٤٠٦ .

(٢) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٦٩ ، نورى ، ج ٢١ ، ص ١٤٧ .

(٣) مدينة بفارس ، بينها وبين شهرزاد عشرون فرسخا ، راجع معجم البلدان لباتوت ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

رجاله يدعى « صالح بن مخراق » في عدد من الفرسان ، وكم من صالح لجيش عبد العزيز وهو يسير ليلا في غفلة وعلى غير نعية ، وانقض عليه من كل مكان فانهزم عبد العزيز بالناس ، وأسرت زوجته ابنة المنذر ابن الجارود ووضع صالح السيف في أصحابه فقتل منهم أعداد كبيرة <sup>(١)</sup> وفر عبد العزيز من ميدان المعركة حاملا الخزى والعار لأسر زوجته ، وقد عبر عن هذا الموقف أحد الشعراء في قصيدة جاء فيها :

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم  
وتركتهم صرعى بكل سهل  
فارجع بعار فى الحياة طويل  
ونسبت عرسك اذ تقاد سيبة  
تبكي العيون برنة وعرويل <sup>(٢)</sup>  
  
ولما وصل خبر هزيمة عبد العزيز بن عبد الله الى عبد الملك بن مروان غضب لهذا التصرف من جانب والي البصرة بعزله المهلب عن حرب الأزارقة ، ووجه اليه كتاباً عنيفاً يؤكد مكانة المهلب العالية ، وتقدير الخلافة الأمورية لجهوده وحسن بلاته ، وجاء في كتاب عبد الملك <sup>٣</sup> .. قبْعَ اللَّهُ رَأِيكَ حِينَ بَعَثَ أَخَاكَ أَعْرَابِيَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةِ عَلَى الْقَتَالِ ، وتدع المهلب يجيء الخراج ، وهو الميمون النقيبة ، الحسن السياسة ، البصیر بالعرب ، المقاصی لها ، ابنها وابن ابنتها ، أنظر أن تنهض بالناس حتى تستقبلهم بالأهواز ، وقد بعثت الى بشر بالکوفة <sup>(٤)</sup>

<sup>(٤)</sup> طبرى ، ج ٦ ، ص ١٦٩ .

<sup>(٥)</sup> نورى ، ج ٢١ ، ص ١٤٨ ، ابن أضم ، م ٢ ، ص ٤١١ ، البطانى ، ص ٤٧ .

<sup>(٦)</sup> هو بشر بن مروان ، آخر الخليفة عبد الملك بن مروان وكان واليا على الكوفة من قبل أخيه عبد الملك (رابع) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٦٩ .

أن يمده بجيش ، فسر معهم ولانعمل في عدوك برأي حتى يحضره  
المهلب وأسلام <sup>(٣)</sup> .

ويعلق الطبرى على رسالة عبد الملك إلى خالد بن عبد الله والى  
البصرة ، بأن أكثر ما شق على نفس والى البصرة هو إخضاع رأيه فى  
قتال الأزارقة لرأى وتوجيهات المهلب ابن أبي صفرة <sup>(٤)</sup> .

وتحممت جيوش الكوفة بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن  
الأشعث ، والبصرة بقيادة خالد بن عبد الله ، والتقي الجميع بالأهواز  
بالمهلب ، وكانت القيادة لوالى البصرة الذى جعل المهلب على ميمنته  
وداود بن قحذم على ميسره وزحفوا للقاء الأزارقة ورغم نصيحة عبد  
الملك لوالى البصرة بأن يستشير المهلب ويأخذ برأيه لخبرته الطويلة فى  
حرب الأزارقة ، الا أن العصبية القبلية كانت عاملا مؤثرا ومسطرا على  
مشاعر القادة فى ذلك الوقت ، فعندما أشعل المهلب على خالد بن عبد  
الله بأن يتحرز على السفن الكثيرة التى كانت بساحل الأهواز ويعتاط  
حتى لا يعرفها الأزارقة ، لم يتصفع خالد إليه ، ولم يمض وقت طويلا  
ا و كان الأزارقة قد أشعلوا فيها النار <sup>(٥)</sup> ، ورغم هذا فإن الأزارقة لم  
تدخل فى قتال حاسم ضد جيش خالد ، ويدو أن كثرة عدد ذلك  
الجيش ووجود المهلب بين صفوفه قد جعلهم هرثيون فى الصدام معه

(٣) ثورى ، ج ٢١ ، ص ١٤٩ .

(٤) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٧١ .

(٥) نفسه ، ص ١٧٢ .

فانسحبوا الى عمق فارس ، فأرسل خالد صاحب ميسره في أثرهم  
وعاد هو الى البصرة وأقام المهلب في الأهزاز<sup>(١٠)</sup>.

ويفهم من النصوص التاريخية أن عبد الملك بن مروان كان يدرك  
أن حسم المعارك في المشرق ضد الأزارقة ليس له إلا المهلب ، وكان  
يشق في مقدراته العسكرية وخبرته الطويلة في حرب الأزارقة ، فرغبة  
عبد الملك في تقوية جيشه ومساندته لإنجاز هذه المهمة ، ففي سنة  
٧٤هـ أمر عبد الملك أخاه بشراً - وكان قد أضاف إليه ولاية البصرة مع  
الكوفة - أن يكلف المهلب بمحاربة الأزارقة ، وأن يترك له حرية اختيار  
من يشاء من أهل البصرة ، وأن يتركه في الحرب ورآية ، وحذر من أن  
يقع فيما وقع فيه خالد بن عبد الله من قبل ، وهدده بالعزل إن فعل  
ذلك<sup>(١١)</sup> فاستدعى بشر المهلب ، وقرأ عليه كتاب عبد الملك بن مروان  
بتكميله بحرب الأزارقة وأعطاه حرية أن يختار من يشاء من الرجال ،  
فأسند المهلب مهمة اختيار الجندي إلى أحد أقاربه وهو جدیع بن سعيد  
الأزدي - خال ابنه يزيد - ، وأمره أن يأتي الديوان فيختار الناس<sup>(١٢)</sup>.

خرج المهلب من البصرة في عشرة آلاف رجل من قبيلته الأزد ،  
وثمانية آلاف من أخلاقط القبائل ، ودخل المهلب بجيشه الأهزاز بعد

(١٠) نورى ، ج ٢١ ، ص ١٤٩ .

(١١) ابن أثيم ، م ٢ ، ص ٤١٨ .

(١٢) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٩٦ .

أن رحل عنها الأزارقة إلى أرض سابور بفارس لينظموا صفوفهم استعداد لجولة جديدة من المعارك مع المهلب الذي أقام في الأهواز عدة أيام ثم رحل حتى نزل بمدينة رامهرمز في جموعه <sup>(١٣)</sup>.

شعر بشر بن مروان بالغضب الشديد على المهلب ، وملأ قلبه الحقد لما حبا به الخليفة من علو المنزلة ، وشق عليه أن إمرة المهلب على الحرب جاءت من قبل عبد الملك <sup>(١٤)</sup> مما يجعل بشر بن مروان مقيدا لا يستطيع أن يبعث غيره لحرب الأزارقة فيتعرض لعقاب الخليفة مما أورغ صدره ، وفكك في الكيد له بارسال أحد رجاله من الكوفة يشاركه القيادة ويستبد بالأمر ، ولا يستمع لمشورته ، فاختار لهذه المهمة عبد الرحمن بن مخنف وكما يروى ابن الأثير ، انفرد بشر بعد الرحمن وحرضه على المهلب ، وقال له « خالفه في أمر » ، وأفسد عليه رأيه ، ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا وتنقصه وقصير به <sup>(١٥)</sup> . ولكن يبدو أن بشرا قد أساء الإختيار ، ولم يقع على الرجل المناسب لهذه المهمة ، فإذا كان ما يحرك بشر ضد المهلب هو العصبية القبلية ، فإن عبد الرحمن بن مخنف من الأزد ، وضيقه أن يسب بشر المهاب ويطعن في مقدرته وشرفه ، وعلق عبد الرحمن لخاصته على ما قاله بشر في حق المهلب .. فترك أن يوصي بالجند ، وقتال العدو .. وأقبل بغيري

(١٣) ابن الأعم ، م ، ٣ ، ٤٢٢ ص .

(١٤) ابن خلدون ، م ، ٣ ، ٩١ ص .

(١٥) الكامل ، ج ، ٤ ، ٣٦٧ ص .

بابن عمته كأنى من السفهاء ..<sup>(١٦)</sup> . وتنظره بأنه يستجيب لبشر وهو يضر في نفسه التعاون مع المهلب والطاعة له.

وكان المهلب عندما وصل إلى رامهرمز وتقى بالأزارقة ، أقام خندقا حول معسكره وتحرر من مفاجآت الأزارقة التي خبرها لطول عهده بهم ، وأقبل جيش الكوفة بقيادة عبد الرحمن بن مخنف فنزل بالقرب من معسكره ، ولم تمض عشرة أيام حتى جاء إلى رامهرمز خبر وفاة بشر بن مراون في البصرة سنة ٧٤ هـ.<sup>(١٧)</sup> .

عندما بلغ جند البصرة والكوفة خبر موت بشر بن مروان لم يستقروا في مواقعهم لتحقيق الهدف الذي جاءوا م أجله إلى رامهرمز ، فانسحب عدد كبير من الجندي ، ويدو من رواية الطبرى أن معظم الذين هربوا من رامهرمز وكرهوا مواصلة القتال هم من أهل الكوفة الذين كانوا تحت أمرة عبد الرحمن بن مخنف ، وكان على رأس الهاربين بعض قواده مثل زخر بن قيس واسحاق بن محمد بن الأشعث ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ، ورغم أن ابن مخنف أرسل في أثرهم ابنه جعفرا ، وتمكن من رد اسحاق ومحمد إلا أنهما تمكنا من الهرب مرة أخرى<sup>(١٨)</sup> وفشل محاولات والي البصرة في اقناع هؤلاء الفارين بالعودة إلى ميدان المعركة ، وكانوا مازالوا في الأهواز ، وأرسل لهم كتابا قرأه عليهم أحد رجاله به الكثير من التهديد والوعيد إن لم

(١٦) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(١٧) الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٦٦ .

(١٨) طبرى ، ج ٦ ، ص ١٩٧ .

يستحبوا لأوامره بالعودة ، ولكن زخر وأصحابه سخروا منه ولم يلتفتوا إليه<sup>(١٩)</sup> ، وأرادوا دخول الكوفة ، وكتبوا إلى واليها عمرو بن حرث يستأذنوه في الدخول ، ورغم رفض والي الكوفة لطلبهم إلا أنهم تسللوا إلى المدينة ليلاً وظلوا بها حتى مجيء الحجاج سنة ٧٥ هـ .

وبالنظر إلى ما سبق من أحداث يمكننا أن نرجح أن معظم أصحاب المهلب من أهل البصرة ظلوا في مكانهم في رامهرمز تحت قيادة المهلب لتحقيق الهدف الذي خرجوا من أجله والتصدي للأزارقة ، وأن أصحاب ابن مخنف من أهل الكوفة هم الذين تركوا أماكنهم وانسحبوا إلى مصرهم ، مما يوحى بأن خروجهم كان عن غير رغبة وأقتناع ، فاتروا السلام العودة بعد موت أميرهم ، أو لأنهم رفضوا أن يعملوا تحت قيادة المهلب ، وقد علموا بتحريض بشر لابن مخنف بعدم التعاون مع المهلب وصادفوا غير ذلك ، وفيهم هذا المعنى من قول الحجاج بعد ولادته الكوفة مخاطباً هؤلاء الفارين « .. ولعنى رفضكم المهلب ، إقبالكم على مصركم عصاة مخالفين »<sup>(٢٠)</sup> .

وكيفما كان الأمر فإن القوات الباقية في رامهرمز رغم نقص عددها إلا أن القيادة الحكيمة للمهلب والتعاون بينه وبين ابن مخنف قد مكنتهما من اجتياز الأزمة المفاجئة بسلام ، ولم يتعرضوا للخطر

---

(١٩) الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٦٦ .

(٢٠) نورى ، ج ٢١ ، ص ٢١٠ .

الأزارقة ، فنحن لانقرأ عن معارك دارت بين جيش المهلب والأزارقة منذ وفاة بشر بن مروان وحتى ولادة الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق سنة ٧٥ هـ<sup>(٢١)</sup> .

وما يؤكد ما ذهبنا اليه من أن معظم جيش المهلب بقى معه فى رامهرمز بعد وفاة بشر بن مروان ، ما يشير اليه ابن أعثم من أن المهلب كان معه فى رامهرز فى ذلك الوقت عشرة آلاف رجل وهو العدد الذى صحبه عند خروجه من البصرة ، وعندما وقف المهلب فى أصحابه خطيبا قال : « إن كنتم انما تقاتلون هذا العدو ليشر بن مروان فقد مات بشر ، وإن كنتم انما تقاتلوا الله فائتبوا على ما أنتم عليه ، فإن أمير المؤمنين حى ، والعراق لابد لها من أمير »<sup>(٢٢)</sup> .

ومن جانب اخر نلاحظ أن الأزارقة الذين كانوا يرافقون معسكر المهلب قد فرحوا بموت بشر ، وعوده أعداد كبيرة من جيش العراق إلى موطنهم ولكن الأزارقة فى نفس الوقت كانوا يعملون أن المهلب ما زال فى معظم رجاله من الأزد ، وأنه يمكنه أن يتصدى لهم بقوه اذا فكروا فى استغلال الموقف لصالحهم ، ولما شاور قطري بن الفجاءة زعيم الأزارقة أصحابه فيما يجب عمله فى هذه الظروف الجديدة ، كان الرأى السائد هو ماقاله عمرو القنا « أترك المهلب ما تركك ، وأرده ما

---

(٢١) راجع : طبرى ، ج ٦ ، من ٢٠٢ ، نورى ، ج ٢١ ، من ١٥٢ .

(٢٢) راجع : ابن أعثم ، م ٣ ، من ٤٢٢ - ٤٢٣ .

أرادك ، ”<sup>(٢٣)</sup> ولذلك لم يغامر الأزارقة بالهجوم على المهلب رغم قلة عدد قواته آنذاك . كما أن المهلب كان حريصاً على أن يحشد إليه عبد الملك الجيوش في أسرع وقت ، ليتمكن من التصدي لأى هجوم من جانب الأزارقة ، فكتابه بذلك ، وحذر من خطورة الحال مع قلة ما تحت قيادته من جند ، وخطر الأزارقة على البصرة ”<sup>(٢٤)</sup> .

---

(٢٣) لمن أشم ، م ، ٢ ، ص ٤٢٤ .

(٢٤) المسعودي ، مرج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

## بين آل المهلب والحجاج (٤٢-٤٥هـ)

كانت الأحداث التي وقعت عند رامهرمز في أعقاب وفاة بشر بن مروان والتي سبق شرحها ، من أهم العوامل التي جعلت عبد الملك بن مروان يبحث عن رجل قوي يتولى شئون العراق ويقبض على زمام الأمور بيد من حديد ويعيد هيبة الخلافة بين المتمردين من أهل العراق والأزارقة الذين عاثوا فسادا في أقاليم الدولة الشرقية ، فلما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق سنة ٤٧٥هـ كان من أول مهامه ارسال البعثات إلى المهلب ، ورد هؤلاء الذين تمردوا على قيادتهم ، وتركوا الحرب دون مبرر ، وجاء في خطاب الحجاج المشهور الذي ألقياه في الناس من على منبر الكوفة قوله: « .. قد بلغنى رفضكم المهلب ، ولاقبالكم على مصركم عصاة مخالفين ، وإنني أقسم لكم بالله لا أجد أحداً بعد ثلاثة إلا ضربت عنقه ، وأنهبت داره » (١).

وأمر الحجاج العرفاء بحشد الرجال إلى المهلب ، وأن يفتح باب الجسر في طريق فارس ليلاً ونهاراً ، ويروى الطبرى أنه عبر الجسر في نهاية المهلة التي حددتها الحجاج - وهي ثلاثة أيام - أعداد كبيرة من الناس ، بعد النداء الذي أطلقه الحجاج بأن من ظلل في الكوفة من جند المهلب بعد الموعد فقد أحل دمه « فخرج الناس فازدحموا على الجسر ، وخرجت العرفاء إلى المهلب وهو يرامهرمز فأخذوا كتبه بالموافقة ، فقال

---

(١) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢٠٤

المهلب : قدم العراق اليوم رجل ذكر<sup>(٢٦)</sup> اليوم قوتل العدو<sup>(٢٧)</sup>.

وأتبع الحجاج حملته العنيفة في الكوفة بحملة مماثلة في البصرة، وتوعد العصاة من جند المهلب ، وأمهلهم ثلاثة أيام ، فسارع العسكر للاتساق بفرقهم وخرج الحجاج بنفسه متوجهًا إلى ميدان الصراع مع الأزرقة ، حتى اقترب من معسكر المهلب فنزل في «رستقباذ» على بعد ثمانية عشر فرسخاً من رامهرمز وذلك في شعبان سنة ١٧٥ هـ ، وقال حين نزل هذا المكان « يا أهل مصرین هذا المکان والله مكانکم شهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة حتى يهلك الله عدوکم ، هؤلاء الخوارج المطلين عليکم »<sup>(٢٨)</sup> .

ومكذا أعلن العجاج العرب التي لا هوادة فيها ضد الأزرقة مهما طال الزمن وحشد لها كل ما يستطيع حشده من الرجال ، فاشتدت ظهور المسلمين ، وساء ذلك الخوارج ، وقد كانوا رجعوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف<sup>(٢٩)</sup> وكتب العجاج إلى المهلب يقره على حرب الأزرقة ، ويعلن ثقته فيه وفي مقدرته على تولي هذه المهمة الخطيرة ، وحاجته إليه عن رغبة واقتئاع ، وجاء في كتابه .. فان بشير بن مروان وجهك إلى العرب التي للأزرقة وكان

(٢٦) أبو ملال العسكري ، الأول ، ج ٢ ، ص ٦٧ (الطباطبائي ١٩٨١) .

(٢٧) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢٠٧ ، نورى ، ج ٢١ ، ص ٢١٢ .

(٢٨) نورى ، ج ٢١ ، ص ١٥٢ .

(٢٩) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٠ ، ابن خلدون ، م ٣ ، ص ٩٥ .

مستكرها لنفسه فيك ، وأنا أريدك ل حاجتي إليك ، فأبشر وقر عينا ، اثبت على حرب القوم ، <sup>(٢٠)</sup> كما اعترف العجاج للمهلب

بشرطه الذي اشترطه على أهل البصرة قبل بداية حرب الأزارقة سنة ٦٥ هـ بأن يكون له خراج ما غالب عليه من البلاد ، فكانت الأموال تنتقل إليه من أرض فارس في البدر مكتوب عليها : هذا ما أطعم الله المهلب بن أبي صفرة مما غالب عليه من بلاد الله ، يحمله إلى قومه من الأزد لا يعرض عليه معترض <sup>(٢١)</sup> .

ونلاحظ في هذه المرحلة من القتال مع الأزارقة أن قيادة الجيوش التي كانت في رامهرمز لم تكن واحدة - رغم أوامر العجاج للمهلب وإقراره على حرب الأزارقة ، فكان أهل البصرة يقودهم المهلب ، وأهل الكوفة يقودهم عبد الرحمن بن مخفف . وفي البداية نجحت هذه الجيوش في إجلاء الأزارقة عن رامهرمز <sup>(٢٢)</sup> من غير قتال شديد ، حسب رواية الطبرى ، وال واضح من استقراء الأحداث هذه كانت سياسة الأزارقة عندما يشعرون بقوة جيوش الخلافة وخطورة المواجهة ، فتراجعوا إلى سابور ، ونزلوا مدينة كارزون <sup>(٢٣)</sup> لتنظيم صفوفهم فيتبعهم المهلب وعبد الرحمن بن مخفف وكان ذلك في رمضان سنة ٧٥ هـ ، وفي هذا

---

(٢٠) المفرد ، من ٢٦٦ .

(٢١) ابن لثم ، م ، ٤ ، ص ١٤ .

(٢٢) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٠ .

(٢٣) كارزون مدينة يفارس بين البحر وشہراز ( راجع سجم البلدان لهاجرت ) .

المكان دارت بين الجانبيين معارك عنيفة قتل فيها أعداد كبيرة من الجانبيين ، وقتل خلال ذلك عبد الرحمن بن مخنف وصمد المهلب برجاله في وجه الأزارقة <sup>(٢١)</sup>.

ونتيجة لعدم توحد القيادة العسكرية في هذه المعركة ، فقد اختلفت الروايات حول أسباب هزيمة جيش ابن مخنف وقتله على يد الأزارقة : فأهل البصرة يذكرون رواية مفادها أن المهلب عندما واجه جيوش الأزارقة عند كارزون ، خندق على قواه وتغرس من عدوه وكانت هذه عادته في التعامل مع الأزارقة في المارك التي سبق الأشارة إليها . ونصح المهلب ابن مخنف أن يخندق هو الآخر وتحرس على معسكره من مفاجآت الأزارقة فرفض أصحاب ابن مخنف مشورة المهلب وكأنهم أنفروا أن يأخذوا أوامرهم منه أو يعملا تحت قيادته ، وقالوا : « نحن خندقنا سيفنا » <sup>(٢٥)</sup> . فلعدره المهلب من خطر أن يداهمه الأزارقة على حين غرة فلا يستطيع الثبات لهم ، ولكن صمم أصحاب ابن مخنف على رأيهم <sup>(٣٦)</sup> فلما بادر الأزارقة بالهجوم كان هدفهم في البداية معسكر المهلب ، فوجدوه قد أخذ الحبيطة خلف ولم يستطيعوا اقتحام خندقه لمناعته ، فمالت الأزارقة إلى معسكر ابن مخنف واشتبكوا معه في قتال عنيف ، فلما احتمم القتال « انهزم عنه أصحابه » <sup>(٣٧)</sup> فحلت الهزيمة بابن مخنف فقتل وقتل معظم الذين ثبتوه معه في

(٢٤) راجع التفاصيل ، نورى ، ج ٢١ ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢٥) الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٨٨ .

(٢٦) المرد ، ص ٢٦٧ .

(٢٧) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٢ .

ولكن أهل الكوفة - وهم جيش ابن مخنف - يذكرون رواية أخرى تشير إلى أن المهلب قد اصطدم بالأزارقة في بداية المعركة ، ولم يستطع الثبات لهم ، مما اضطره إلى الاستجاد بعد الرحمن بن مخنف الذي أ美的 بالخيل والرجال ، فلما رأى الأزارقة ذلك ، أدركت أن معسكر ابن مخنف قد خف رجاله ، فجعلوا بازاء المهلب من يشغل ، وانصرفوا بمعظم قواتهم إلى معسكر ابن مخنف ، وحملت عليهم الخوارج فقاتلتهم قتالا شديدا ثم إن الناس انكشفوا عنه ، (٣٩) فقتل ابن مخنف وقتل معظم أصحابه .

ويبدو أن رواية أهل الكوفة كانت تبريرا لهزيمتهم في هذه المعركة التي قتل فيها قاتلهم ، وأرادوا إلقاء اللوم في ذلك على المهلب بن أبي صفرة ، ففي كلام الروايتين - رواية أهل البصر وأهل الكوفة - تؤكد المصادر أن أهل الكوفة انكشفوا عن ابن مخنف ولم يصدوا معه في القتال . ويؤكد هذا الأمر ما سبق أن أشرنا إليه من تسارع أهل الكوفة إلى الفرار والعودة إلى مصرهم في أعقاب وفاة بشر بن مروان هربا من مواجهة الأزارقة بما يعرف عنهم من عنف وشراهة في القتال .

وكيفما كان الأمر ، فإن الخليفة عبد الملك بن مروان كان يدرك

---

(٣٨) نورى ، ج ٢١ ، ص ١٥٢ .

(٣٩) طبرى ، ج ٦ ، من ٢١٢ ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٩٨٩ .

حقيقة الموقف في ميدان المعركة ضد الأزارقة ، وأن اللائمة في هذه الهزيمة تقع على عاتق أهل الكوفة ، فلما وصله خبر مقتل عبد الرحمن ابن مخنف « نعى عبد الرحمن ، وذم أهل الكوفة » <sup>(٤٠)</sup> .

بعث الحجاج بعتاب بن ورقاء خلفا لابن مخنف لقيادة أهل الكوفة ، وأراد أن يتفادى ما حدث لابن مخنف عندما لم يستمع إلى مشورة المهلب أثناء قتال الأزارقة ، فكانت أوامر العجاج إلى عتاب واضحة ، بأنه إذا دارت المعارك فعلية أن يستمع إلى المهلب ويطيع ، فساء ذلك عتاب ، ولكن لم يجد بدا من الإذعان والطاعة <sup>(٤١)</sup> ، ولعبت العصبية القبلية في هذه الظروف العصبية بعقل القادة فعتاب كان حاقدا على المهلب ويأنف من العمل تحت قيادته مما أثار الخلافات بين الرجلين وكاد أن يحدث بينهما اشتباك في مجلس المهلب ، ورفع المهلب القضيب ليضرب عتاب لولا أن حجز بينهما المغيرة بن المهلب <sup>(٤٢)</sup> . وأدرك الحجاج متاخرًا خطر وجود قائدان متنافسين في مواجهة الخوارج ، واستغل فرصة شكرى عتاب من المهلب فأمر عتابا بالعودة إلى الكوفة ، فقام المهلب باسناد قيادة ما تحت أمره عتاب من جند إلى ابنه حبيب <sup>(٤٣)</sup> .

(٤٠) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٣ ، الكامل ، نفسه .

(٤١) الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ ، نهرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٣ .

(٤٢) الكامل ، نفسه .

(٤٣) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٣ .

وهكذا توحدت قيادة العرب ضد الأزارقة وأصبحت بيد آل المهلب وتمكن المهلب في هذه المرحلة من الصراع أن يوجه ضربات عنيفة إلى الأزارقة في فارس وكرمان واستمر المهلب يناجزهم ثمانية عشر شهرا دون حسم<sup>(١)</sup> ولكن تمكّن من تضييق موارادهم باستيلائه على معظم أقليم فارس وحجب ما كانوا يحصلون عليه من جباية هذا الأقليم الغني<sup>(٢)</sup> ، وخلال هذه الفترة كان الحجاج يتبع معارك المهلب وينيه ضد الأزارقة ، ويتحمّل على الأسراع في حسمها ، وظن أنه يطيل أمد الحرب حتى يجيء أكبر قدر من الأموال ، فأراد الحجاج أن يجبر خراج فارس عن طريق عمال من قبله ، وكان هذا التصرف يحرم المهلب من المورد الذي يعتمد عليه في تمويل عسكره .

ومهما كان هدف الحجاج من هذا التصرف ، فإن المصادر التاريخية توضح أن عين الخليفة عبد الملك بن مروان كانت ترقب ما يجري بين المهلب والحجاج من مناوشات ، وبداية ظهور التناقض بين الرجلين ، كما أدرك الخليفة خطورة أن يحرّم المهلب من أموال فارس ، وتأثير هذا على صمود عسكره في مواجهة الأزارقة ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج سنة ٧٧هـ « أما بعد ، فدع بيد المهلب خراج فارس ، فإنه لا بد للجيش من قوة ، ولصاحب الجيش من معونة »<sup>(٣)</sup> .

(١) نبوى ، ج ٢١ ، ص ١٥٤ .

(٢) طيري ، ج ٦ ، ص ٣٠١

(٣) طيري ، نفسه .

ورغم استجابة الحجاج لأوامر الخليفة ، الا أن مشاعر الحجاج بدأت تتغير نحو المهلب ، وتحركت عوامل العصبية القبلية في نفسه ، وكان يتمنى لتونلي أمر الخوارج رجل من القبيصة ، فيحوز المال والثروة واحترام الخليفة وتقديره وتفضح هذه المشاعر بجلاء ، في وكتاب بعثه الحجاج إلى المهلب بن أبي صفرة جاء فيه : « فإنه بلغنى أنك أقبلت على جباهة الخراج ، وترك قتال العدو ، وانى وليتك وانا أرى مكان عبد الله بن حكيم المهاشى »<sup>(٤٧)</sup> وحسان ابن حصين الجباعي<sup>(٤٨)</sup> واخترتكم وانت من أهل عمان ، ثم رجل من الأزد ..<sup>(٤٩)</sup> ورد المهلب على الحجاج بأنه يتحين الفرص لتحقيق النصر النهائي على الأزارقة وأنه لن يتم له ذلك إلا في ثلاثة أحوال : موت زعيم الأزارقة قطري بن الفجاءة ، أو وقوع الفرقا والاختلاف فيما بينهم ، أو محاصرتهم حتى يقتلهم الجرع<sup>(٥٠)</sup> ولكن الحجاج لم يقتضي بهذه المبرارات التي ساقها المهلب وظل يطارده بكتبه ورسائله لانهاء الحرب مع الأزارقة في أسرع وقت .

وفي رواية للطبرى أن الحجاج أرسل في سنة ٧٧هـ البراء بن

(٤٧) المهاشى منوب إلى مجاشع بطن من قسم وعامتهم بالبصرة (راجع : محمد بن أبي هشام المعاوس ، النسب ، ص ١١ ، القاهرة ١٩٧٣) .

(٤٨) العجتى أو العباعي نسبة إلى حبته بنت مالك بن عوف (راجع : محمد بن أحمد النهى ، النسب ، ج ١ ، ص ١٣٩ ، القاهرة ١٩٦٢) .

(٤٩) المبرد ، ص ٣٦٨ .

(٥٠) ابن أثيم ، م ٤ ، ص ١٤ .

قبصه حاملا كتابا للمهلب يحثه فيه على مواجهة الأزارقة ، ويحذرها من « العلل والأباطيل » ، وأراد المهلب أن يرى رسول الحجاج كيف تكون المعارك مع الأزارقة « فأنخرج المهلب بنية ، كل ابن في كتبية ، وأخرج الناس على راياتهم .. وجاء البراء بن قبيصه فوقف على قل قريب حيث يراهم ، فأخذت الكتائب تحمل على الكتاب ، والرجال على الرجال ، فيقتتلون أشد قتال رأه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف النهار ، ثم انصرفوا ، فجاء البراء بن قبيصه إلى المهلب فقال له : لا والله ما رأيت كبنيك فرساناً قط ، ولا كفرسانك من العرب قط ، ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط فرجع المهلب بالناس ، حتى إذا كان عند العصر خرج إليهم وبنيه في كتابتهم ، فقاتلوه كقتلهم في أول مرة <sup>(٥١)</sup>.

ونستنتج من هذا البيان العملي ليوم قعال ضد الأزارقة مدى ضرورة المعارك التي كان يخوضها آل المهلب ضد هم وقوة بأس عدوهم وصبرهم على القتال ، وعندما سأله المهلب مبعث الحجاج عن تعليقه على ما شاهد قال : « رأيت قوما والله ما يعينك عليهم إلا الله » <sup>(٥٢)</sup> فطلب المهلب من البراء أن ينقل على لسانه للحجاج « إن البلاء كل البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يصره » <sup>(٥٣)</sup> .

(٥١) طهري ، ج ٦ ، من ٢٠٢ .

(٥٢) المفرد ، من ٢٧١ .

(٥٣) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، من ٢٥٣ .

وقد شهدت هذه المرحلة أقوى المعارك بين آل المهلب من جهة وبين الأزارقة من جهة أخرى ، وبمتابعة سير هذه المعارك التي جاءت بتفاصيلها المصادر المختلفة يمكننا أن نلاحظ العبرية العسكرية والشجاعة النادرة التي كان يتمتع بها المهلب وأسرته ورجاله الذين كانوا يقودون الفرق ، ويخوضون المعارك الجانبي تحت قيادته .

ظل المهلب يطارد الأزارقة ويطردهم من مدينة إلى أخرى ومن موقع إلى آخر مستعملاً معهم أسلوب الهجوم المفاجئ ، أحياناً ، وتلقى الصدمة والدفع أحياناً أخرى ، والتراث وعدم الاستيال ثالثة (٥١) ، وكان المهلب ينصح أبناءه قاتلاً : « لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم فيبغوا عليكم ، فإنهم إذا بغوا نصرتم عليهم » (٥٢) ، وكان ينهاهم عن مطاردتهم إذا ولوا الأدبار منهزمين وقد نهى ابنه المغيرة عن مطاردتهم وهم جرحى « فان الكلب اذا جرحته عقر » (٥٣) .

وكان آل المهلب يفخرون بانتصاراتهم إلى الأذد ، وكانوا في المواقف الخطيرة التي تحتاج إلى تكافف وتضحية يلجأون إلى قبيلتهم لتأكدتهم من ولائهم وحسن بلائهم ، فعندما تصدى عطية بن الأسود في فرسان الأزارقة في أحدى المعارك للمهلب ، أستد المهلب مهمة قتاله إلى ابنه يزيد وقال له : « يا بني هذا عطية بن الأسود قد أقبل في

(٥١) راجع تفاصيل المارك : ابن الأعلم ، م ، ٢ ، ص ٢٣ و مائتها ، المفرد ، ص ٢٧٢ و مائتها .

(٥٢) المفرد ، ص ٢٧٧ .

(٥٣) ابن الأعلم ، م ، ٣ ، ص ٢١٣ .

فرسان الأزارقة، فأخرج اليه في إخوانك الذين شق بهم من الإقدام على المكره، فما كان من يزيد إلا أن نادى « في فرسان الأزد فاجتمعوا إليه من كل أوب »<sup>(٥٧)</sup>.

واستمرت المعارك في الفترة من سنة ٧٥هـ إلى سنة ٧٧هـ ما يقرب من نصفية عشر شهرا دون هروبة بين المهلب والأزارقة حتى وقع الاختلاف بين الأزارقة<sup>(٥٨)</sup>. في سنة ٧٧هـ لاحت أحدى الفرص التي كان يتربص بها المهلب لينهي حصاره الطويل مع الأزارقة، فقد وقع الاختلاف بين صنوفهم وانقسموا على أنفسهم، ولما بلغ المهلب ما حل بهم من الاختلاف قال لأصحابه : « أبشروا فهذا الذي كنت أرجوه من هؤلاء الخارج وقد أذن الله في هلاكم وبارهم »<sup>(٥٩)</sup>.

وتذكر الروايات التاريخية في سبب الاختلاف أن عاملات قطرى ابن الفجاءة زعيم الأزارقة على كرمان يدعى « المقططر الضبي »، قتل رجلاً ذا بأس من الأزارقة، فوثبت الأزارقة إلى قطرى وطلبوا منه أن يمكنهم من المقططر ليقتلوه ب أصحابهم، فرفض ذلك ودافع عن المقططر واعترف بالخطأ ولكنه لم يوافق على قتله<sup>(٦٠)</sup> وصمم كل فريق على موقفه فوقع الاختلاف بينهم، فولى المعارضون عبد ربه الكبير قيادتهم وخليعوا قطريا، ويقال أن قطريا قد بايعه عدد من الأزارقة يقدره

(٥٧) ابن الأعمى ، م ، ٤ ، ص ٢٠ .

(٥٨) تبرى ، ج ٢١ ، ص ١٠٥ .

(٥٩) ابن الأعمى ، م ، ٤ ، ص ٤١ .

(٦٠) تبرى ، ج ٢١ ، ص ١٠٥ .

الطبرى «نحوا من ربعهم أو خمسهم»<sup>(٦١)</sup> وانضم الباقيون إلى عبد ربه الكبير.

وبعض الروايات ترجع سبب الاختلاف بين الأزارقة إلى مؤامرة دبرها المهلب بن زر أبي صفرة ضلهم ، فيقال إن رجلاً حداها من الأزارقة كان يصنع نصالة مسمومة فيرمي بها أصطب المهلب ، فشكّوا أصحابه منها ، فوعدهم بالتخليص من هذا الشر ، فوجّه المهلب رجلاً من أصحابه ومعه كتاب أمره أن يلقيه في عسكر قطري في غفلة منهم ، ففعل روقع الكتاب في يد قطري فإذا فيه : أما بعد فان نصلك وصلت ، وقد أخذت اليك ألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال . فأحضر قطري الصانع وواجهه بالكتاب والدراريم ، فأنكر ما جاء فيه ، فأمر قطري بقتله ، فأنكر عليه عبد ربه الكبير وبعض أصحابه قتله فوق الاختلاف بينهم<sup>(٦٢)</sup>.

نعم دس المهلب بين الأزارقة رجلاً نصرانياً برأمه أن يسجد لقطري أمّا أصحابه ويقول له أنا سجدت لك ، ففعل النصراني ، فاحتاج الأزارقة على قطري بأن الرجل عبد الله من دون الله ، وقتلوا النصراني ، ولم ير قطري مبرراً لقتله فاختللت الكلمة روقع الشقاق<sup>(٦٣)</sup>.

ويبدو أن المهلب عندما علم بأمر الخلاف بين الأزارقة أراد تعزيزه

(٦١) طبرى . ج ٦ ص ٣٠٢ .

(٦٢) رابع الضليل : للبرد ، ص ٢٧٧ ، نهرى . ج ٢١ ص ١٥٥ .

(٦٣) للبرد ، ص ٢٧٨ .

بما دبره من المؤامرات السابق ذكرها ، وكيفما كان الأمر فان المهلب كان يرقب الموقف بين فرق الأزارقة المتنازعة بحذر شديد ، ولم يتسرع بالتدخل ضدهم رغم تنازعهم ، وعندما أرسل المهلب كتابا الى الحجاج يخبره بما يعانيه الأزارقة من فرقة ونشوب الحرب بين قطري وعبد ربه الكبير ، كان رد الحجاج بعيدا عما يشغل ذهن المهلب في ذلك الوقت . فجاء فيه : « فإذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا فتكون مئونتهم عليك أشد » <sup>(٦٤)</sup> ولكن المهلب كان يدرك أن تدخله في هذا الوقت قد يكون سببا في جمع شمل الأزارقة مرة أخرى ، وجاء في رده على الحجاج ما يوضح سياسته في هذه المرحلة في قوله : « لست أرى أن أقاتلهم ماداموا يقتل بعضهم بعضا ، وينقص بعضهم عدد بعض ، فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم ، وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقق بعضهم بعضا ، فأناهضهم حيشذ ، وهم أهون ما كانوا وأضعف شوكة » <sup>(٦٥)</sup> .

وانتظر المهلب حتى انتهت الاشتباكات بين الأزارقة وتفرق جموعهم ، فريق بزعامة قطري بن الفجاعة وتقدر حشوده بحوالى عشرة آلاف <sup>(٦٦)</sup> اتجه بهم قطري الى مدينة جيرفت احدى مدن كرمان . وفريق يزعمه عبد ربه الكبير وكان يقود سبعة آلاف ، وفريق ثالث بقيادة عبد

(٦٤) طبرى ، ج ٦ ، ص ٣٠٢ .

(٦٥) نورى ، ج ٢١ ، ص ١٥٦ .

(٦٦) لين لضم ، م ٤ ، ص ٤٥ .

ربه الصغير في أربعة آلاف ، وكان كل فريق منهم يرغب في حرب المهلب ليظهر أمام الناس صبره وجهاده وأنه أفضل من غيره <sup>(٦٧)</sup> .

حاصر المهلب مدينة جيرفت وبها قطري ورجاله حصارا شديدا وساعات الأحوال داخل المدينة المحاصرة حتى اضطر قطرى إلى الخروج من الحصار ومواجهة مصيره في صدام مع جيش المهلب ، ويبدو أن عبد ربه الصغير قد ساءه ما آل إليه حال قطرى فجاء لمساندته بأربعة آلاف من الأزرقة ، فأسد المهلب إلى ابنه يزيد مهمة التصدي له وابعاده عن الاشتراك في الحرب بجانب قطرى ، وتمكن يزيد من أن يفتك بعد عبد ربه الصغير ويقتله في معظم أصحابه وظفر بعسكراهم وحرب ما فيه <sup>(٦٨)</sup> وفي نفس الوقت استولى المهلب على مدينة جيرفت <sup>(٦٩)</sup> بعد أن انسحب منها قطرى دون قتال هاربا من الصدام مع المهلب حتى وصل مدينة الرى ومعه عبيد بن هلال ومن تبعه من الأزرقة ، وعند الرى افترقوا فتوجه قطرى إلى ناحية طبرستان <sup>(٧٠)</sup> ومضى عبيد بن هلال في نفر من أصحابه إلى مدينة قومس <sup>(٧١)</sup> .

. أقام المهلب في مدينة جيرفت وأرسل إلى الحجاج بتطور المعارك

(٦٧) ابن أثيم ، نفسه ، ص ٤٢ .

(٦٨) تاريخ البغدادي ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٦٩) المفرد ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٧٠) طبرى ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ .

(٧١) طبرى ، ج ٦ ، ص ٢١١ ، وقموس كورة كبيرة واسعة ، بين الرى ونيساور (راجع : مرصد الاطلاع ، ج ٣ ، ص ١١٣٤) .

مع الأزارقة و كانه مقيم على حرب عبد ربه الكبير و طلب منه أن يوجه في أمر قطرى رجلاً جلداً في جيش <sup>(٧٢)</sup> للقضاء عليه .

وكانت المعركة الحاسمة في هذا الصراع المرير مع الأزارقة حول مدينة جيرفت . وقد حشد عبد ربه الكبير لهذه المعركة كل ما يستطيع حشده من الرجال و حمسهم على الانتقام من المهلب الذي استولى على جيرفت واحتوى على غنائم أصحابهم و بنى أعمامهم . وكعادة المهلب في صراعه الطويل مع الأزارقة ، كان يعرف كيف يتعامل معهم بأسلوب القائد المحنك الذي خبر عدوه وأدرك نواياه ، فما كاد يبلغه خبر قدوم الأزارقة إلى جيرفت حتى أمر أصحابه بالرحيل عن المدينة ، وخرج منها كالمنهزم ، وأقبل عبد ربه في الأزارقة وقد بلغه خروج المهلب فظن أنه قد انهزم بين يديه ودخل برجاته إلى الكمائن الذي أعد له المهلب وضرب الحصار على نفسه ، فما كاد عبد ربه يدخل جيرفت حتى عاد المهلب بكل حشوده فحاصره داخلها ، ووضعه في نفس الموقف الذي كان فيه قطرى منذ فترة قصيرة .

أمر المهلب أصحابه بعدم الأشتباك مع الأزارقة المحاصرين في قتال .. و اشتد الحصار على الأزارقة حتى اضطروا إلى الخروج <sup>(٧٣)</sup> وعبأ المهلب أصحابه في كتائب ، وجعل على كل كتيبة رجلاً من أولاده ، وقال لهم « إنما أقاتل الله ، وأنتم تقاتلون الله وعن أبيكم ، تذبون عن دين الله .. وليس أحد أولى بحربيهم منكم فقاتلوا واصبروا واعلموا انكم

(٧٢) المبرد ، من ٢٨٨ .

(٧٣) نهرى ، ج ٢١ ، من ١٥٦ .

لأنملكون رقاب الناس ، وإنما نملكون طاعتهم ،<sup>(٧٤)</sup>

دارت معركة عنيفة حول جيرفت اشتد فيها القتال حتى عُقرت الخيل وتكسر السلاح وقتل الفرسان ، وعندما أدرك عبد ربه النهاية نزل عن فرسه وكسر جفن سيفه وتبعه أصحابه ، وجمع المهلب أولاده وأبطال قومه وحملوا عليهم وعظم الخطب حتى قال المهلب : « ما مر بي يوم مثل هذا »<sup>(٧٥)</sup> ، وأسفرت المعركة عن هزيمة مدمرة للأزارقة قتل فيها عبد ربه الكبير وقتل معه ما يقرب من أربعة آلاف من أصحابه حتى سالت دماءهم إلى وادي جيرفت فاحمر ماء الوادي<sup>(٧٦)</sup> ولم ينج من الأزارقة إلا القليل فولى بعضهم هاربين وأستأمن بعضهم المهلب فأمنهم.

ودخل المهلب مدينة جيرفت بعد النصر ، فاستولى على ما كان فيها من أمتعة الأزارقة وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وسبوا لأنهم كانوا يسبون المسلمين<sup>(٧٧)</sup> وبعد هذه المعركة الفاصلة ، تم مطاردة قطرى بن الفجاءة حيث قتل في نفس السنة (٧٧هـ) في شعب من شعاب طبرستان ، كما قتل عبيدة بن هلال في قصر تخصن به بقوس<sup>(٧٨)</sup> وانتهى بهذا خطر الأزارقة على الدولة الأموية بعد صراع عنيف قاد معظم مراحله آل المهلب .

(٧٤) راجع التفاصيل : ابن أثيم ، م ، ٤ ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٧٥) نورى ، ج ٢١ ، ص ١٥٧ .

(٧٦) ابن أثيم ، م ، ٤ ، ص ٥٠ .

(٧٧) طبرى ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ .

(٧٨) راجع التفاصيل : طبرى ، ج ٦ ، ص ٣٠٩ وما بعدها ، نورى ، ج ٢١ ، ص ١٥٩ وما بعدها

أرسل المهلب الى الحجاج مبشرًا بالنصر على الأزارقة، فلما دخل البشير مجلس الحجاج ، سأله عمًا كان عليه حالهم في حرب الأزارقة ، وطلب منه أن يخبره عن آل المهلب فقال له : « المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى بيزيذ فارسا شجاعا ، وجودتهم وسخيفهم قبيصة ، ولا يستحق الشجاع أن يفر من مدركه ، وعبد الملك سم ناقع ، وحبيب موت زعاف ، ومحمد ليث غاب ، وكفالك بالفضل بمنحة ، قال الحجاج : فأيهم كان أبجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها » <sup>(٧٩)</sup> .

فاستحسن الحجاج ما قاله الرجل في آل المهلب ، وكتب إلى المهلب يشكره على جهوده ، ويعتذر إليه عمًا بدر منه أثناء المعارك من استبطائه في حرب الأزارقة <sup>(٨٠)</sup> وأمره أن يولى كرمان من يثق به من أبنائه ويقدم عليه في أسرع وقت في آل بيته وفرسانه ولا يختلف منهم أحد فلما قدم المهلب على الحجاج أظهر أكرامه وبره وقال : يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب <sup>(٨١)</sup> ، وطلب منه أن يعرض عليه فرسانه الذين

(٧٩) البرد ، من ٢٩٤ ، المسعودي ، مروج ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٨٠) ابن أعلم ، م ٤ ، ص ٥٦ .

(٨١) نهرى ، ج ٢١ ، ص ١٥٨ ، - وكانت البصرة بطلق عليها بصرة المهلب لأنَّ حمى المدينة من الخارج ، وكان أهل الكوفة يقولون لأهل البصرة : يا موالى المهلب ، لنفس السبب ولسيطرة آل المهلب ومكاتبهم في البصرة ومن شعر الحسن بن هانئ في البصرة :

الأكل بصرى يرى إنما على مكمة سحق لهن جرين  
لأزد عثمان بالمهلب فروا إذا انسنخ الأقوام لم تلين

(رابع : الهملانى ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٢٢ ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٣٥١) .

خاضوا المعارك الطاحنة وأبلوا في قتال الأزرقة ، وأن يصف له بلاءهم ،  
 وكان كتاب الحجاج يسجلون له ما ي قوله المهلب عن رجاله . ثم أقام  
 الحجاج مجلساً خاصاً للأحتفال بهذه المناسبة ، وكان ينادي على  
 القواد والفرسان حسب مراتبهم وكان في مقدمتهم بنو المهلب : المغيرة  
 ويزيد ومدرك وقبصه وحبيب والمفضل وعبد الملك ومحمد . وقال  
 المهلب للحجاج : انه والله لو تقدمهم أحد في البلاء لقدمته عليهم ،  
 ولو لا أن أظلمهم لأنخرتهم . قال الحجاج : صدقت ، وما أنت بأعلم  
 بهم مني ، وإن حضرت وغبت أنهم لسيوف من سيف الله <sup>(٨٢)</sup> . فأخذ  
 الحجاج لا يذكر له المهلب رجلاً من أصحابه ببلاء حسن إلا صدقه  
 بذلك ، فأذكرهم وأحسن العطاء لهم وزاد فيه ثم قال : هؤلاء أصحاب  
 الفعال وأحق بالأموال ، هؤلاء أصحاب الثغور وغيظ الأعداء <sup>(٨٣)</sup> .

---

(٨٢) البرد ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٨٣) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣١٩ ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٤٨ .



## الفصل الرابع

ولاية المهلب علي خراسان حتى وفاته (٨٢هـ)



## الفصل الرابع

### ولاية المهلب على خراسان حتى وفاته (٨٢هـ)

كانت ولاية خراسان هي الجائزة التي حصل عليها المهلب بن أبي صفرة تقديراً لجهوده وبلاطه في القضاء على الأزارقة، ففي سنة ٧٨هـ عزل عبد الملك بن مروان، أمية بن عبد الله بن خالد عن خراسان وسجستان وكان مستقلاً في ولايته عن الحجاج، وضمهما إلى أعمال الحجاج<sup>(١)</sup> فأسند الحجاج ولاية خراسان إلى المهلب. ويبدو أن المهلب كان حريصاً على البقاء في البصرة للراحة بعد العنااء الذي بذله في قتال الأزارقة، فبعث ابنه حبيب نائباً عنه إلى خراسان، فوافق الحجاج وقام بوداع حبيب بنفسه ووصله بعشرة آلاف درهم، وظل حبيب مقيناً في خراسان مدة عشرة أشهر حتى لحق به المهلب في سنة ٧٩هـ<sup>(٢)</sup>.

ويبدو من رواية الطبرى أن الحجاج كان مازال يحمل في نفسه غيرة وحقداً على ما وصل إليه آل المهلب من الرفعة وعلو الشأن، فرغم مظاهر الاحتفال والتكريم التي أقامها الحجاج لآل المهلب ورجاله

(١) الكامل، ج ٤، ص ٤٤٨.

(٢) التبرى، ج ٢١، ص ٢٦٨.

إلا أنه «أخذ المهلب بـألف ألف درهم من خراج الأهواز ، وكان ولاها  
آباء خالد بن عبد الله فقال المهلب لابنه المغيرة : إن خالدا ولاني الأهواز  
وولاك أصطخر ، وقد أخذني الحجاج بـألف ألف درهم فنصف على  
ونصف عليك » <sup>(٢)</sup>. والعجيب في الأمر أن هذا القائد العظيم رغم  
فتحاته وانتصاراته وما حصل عليه من مغاثم وما جباه من أموال ، لم  
يكن يملك مثل هذا المبلغ حتى يسدده للحجاج ، مما يؤكّد ما كان  
يقسم به آل المهلب بوجه عام من سخاء واغداق الأموال على رجالهم  
، واضطرب المهلب للوفاء بما عليه إلى الاقتراض وبلغ به الحال أن باع  
أمراته « خيرة القشirية » حلباً لها ومتاعاً للوفاء بما عليه <sup>(٣)</sup>.

ونلاحظ أن المهلب في فترة ولايته على خراسان ( ٨٧ - ٨٢هـ ) لم يركن إلى الدعة والراحة ، واستمر في نشاطه العسكري ،  
وظل مع بنيه يقاتلون في هذه الجبهة قتالاً مستمراً ضد أعداء الإسلام ،  
ويعملون لاخضاع البلاد لسيطرة الدولة الأموية <sup>(٤)</sup> فخيّل له بسمارقند  
وآخرى بخارى ، وأخرى بطخارستان .. وكلما فتح فتحاً آخر من  
ذلك الخامس فوجئ به إلى الحجاج ، وقسم باقي الفيء في أصحابه ،  
وفرح أهل خراسان بولادة المهلب عليهم فرحاً شديداً <sup>(٥)</sup> لما حازوه من  
شرف الجهاد في سبيل الله ، وما حصلوا عليه من الغنائم .

(٢) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٢٠ .

(٤) نفسه ص ٣٢١ .

(٥) ابن أثيم ، م ٤ ، ص ٥٨ .

بدأت حركة المهلب بن أبي صفرة للغزو والجهاد بعد وصوله خراسان في سنة ٨٠ هـ عندما تحرك ببرجاله شرقاً، وقطع نهر بلخ، ونزل على كش (وهي قرية من قرى جرحان) <sup>(١)</sup> وهناك وفد عليه ابن عم ملك الختل <sup>(٢)</sup> الذي كان على خلاف مع الملك وحرض المهلب على فتح هذه البلاد، فوجهه معه المهلب ابنه يزيد، وتم حصار الختل والاستيلاء عليها، وانسحب يزيد عنها بهد أن صالح أهلها على فدية حملت إليه <sup>(٣)</sup> كما ورجه المهلب ابنه حبيباً إلى بخارى في جيش كبير يقدر بحوالي أربعين ألف رجل، وأوقع المهزائم بأهل بخارى، وأخضعهم ورجع حبيب إلى أبيه في مدينة كش <sup>(٤)</sup> وكان المهلب قد اتخذها مقراً له لتحريل قواته في الفتوحات المختلفة، وأقام المهلب بكش يضبط الأمور ويجيئ الخراج ولم يستجب إلى الآراء المتهورة التي كان أصحابها يطمعون في الغزو من أجل المزيد من الأموال، فعندما قيل له: لو تقدمت إلى الصفدر وما وراء ذلك . قال : ليت حظى من هذه الغزوة سلامة هذه الجند وعودتهم إلى مرو سالمين <sup>(٥)</sup>.

وتنظر براعة المهلب السياسية في احتفاظه بعلاقات قوية مع الخليفة الأموي في دمشق ، والتعامل بحذر مع العجاج الذي كان

(٦) النميري ، ج ٢١ ، ص ٢٠١ .

(٧) الختل ، كثرة فيما وراء النهر ( راجع سليم البلدان لياقوت ) .

(٨) الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٥٣ .

(٩) النميري ، نفسه .

(١٠) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٢٦ .

يضمر في نفسه الكثير ضد آل المهلب ، لذلك كانت سياسة المهلب في خراسان تسم بالحذر من العناصر القبلية المناوئة من عرب الشمال على وجه التحديد ، ورغم انتقامه إلى عرب الجنوب فلم يترك لنفسه العنوان في الأنسياق وراء التعصب القبلي ، بل كان يسعى إلى إقامة توازن في العلاقات بين القبائل حتى لا تثور فتنة تؤدي إلى إفشال مشاريعه الحربية ، وفي نفس الوقت كان على حذر من المضرية ولا يأمن جانبيهم ، ويبدو هذا عندما أقبل عليه جماعة من مضر وهو بكش ، فقبض عليهم وحبسهم ، ورغم أن المصادر لم تذكر سبباً لهذا التصرف ، فمن المحتمل أنهم كانوا يمثلون خطراً على وحدة جيشه في ذلك الوقت وهو يواجه العدو في حروب متصلة ، فقد ثارت بعض المنازعات بين بطون من بني تميم طلباً للثأر<sup>(١١)</sup> . وعندما زال الخطر ، وعاد المهلب إلى مرو عاصمة خراسان ، لم يجد سبباً لإبقاء هؤلاء في حبسه فأطلق سراحهم<sup>(١٢)</sup> ، ويؤيد هذا الأحتمال ، أن العجاج كتب إلى المهلب بشأن هؤلاء المضرية قاتلاً : «إن كنت أصبحت بحسبهم فقد أخطأت بإطلاقهم، وإن كنت أصبحت بإطلاقهم فقد ظلمتهم إذ جبستهم ، فكتب المهلب : خفتهم فحبستهم ، فلما أمنت خليتهم»<sup>(١٣)</sup> .

ولعل عدم توتر العلاقات بين المهلب والحجاج بصورة سافرة ترجع

(١١) ربيع التفاصيل : الطبرى ، ج ٢١ ، ص ٢٢٩ - ٢٢٢ .

(١٢) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٢٦٦

(١٣) الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٤

الى أن المهلب بالإضافة الى حسن سياساته ، لم يكن في طبعه الفدر ونكث العهود ، في الوقت الذي عرف فيه عن الحجاج القسوة والعنف في علاقته مع الخاصة وال العامة على السواء ، وحادثة ثورة عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث في سنة ٨١ هـ تلقى الضوء على بعض جوانب شخصية الرجلين : أعني المهلب والحجاج .

فسورة ابن الأشعث في جوهرها تمرد من جانب قائلها ورجاله ضد قسوة الحجاج وصلفه وغروره ، ورغبة في الإنتقام منه ، وبدأت بتدخل الحجاج في الحرب التي كان يقودها ابن الأشعث ضد رتبيل أحد ملوك الترك والذي سبق له أن أوقع الهزائم المتكررة بجيشه المسلمين ، وكان رأي ابن الأشعث - بعد أن حقق بعض الانتصارات على رتبيل واستولى على أجزاء من بلاده - عدم التوغل في بلاد الترك خوفاً من الوقع في الكمائن « حتى يعرفوا طرقها ويجبوا خراجها » <sup>(١٤)</sup> ولكن الحجاج اتبع مع ابن الأشعث نفس الطريقة التي سبق له أن نفذها مع المهلب في حربه ضد الأزارقة ، فطارد ابن الأشعث بسلسلة من الكتب العنيفة التي تهممه بالجبن وحب المواعدة والرغبة في جباية الأموال ، وأمره بمواصلة القتال ضد الترك أو التخلّى عن الأمارة لأخيه اسحق <sup>(١٥)</sup> ، وكان رد فعل ابن الأشعث حاسماً إذ أعلن الشورة على الحجاج والدولة الأموية واستجواب له الأجناد ومعظمهم من أهل البصرة والكرفة نكابة في الحجاج لبغضهم له وخوفهم من سلطونه <sup>(١٦)</sup> .

(١٤) راجع تفاصيل ثورة ابن الأشعث وحرره مع الترك : النيرى ، ج ٢١ ، ص ٢٢٣ وما بعدها .

(١٥) النيرى ، نفسه ، ص ٢٣٥ .

(١٦) المسعودى ، التنبیه والأشراف ، ص ٢٨٧ .

وفي هذا الوقت حاول ابن الأشعث أن يستميل إليه المهلب بن أبي صفرة والى خراسان ، ولكن المهلب رفض الاستجابة للفتنة ، وكتب الى ابن الأشعث كتابا يوضح سياساته ومنهجه في التعامل مع السلطة الشرعية وجاء في كتابه « أما بعد ، فانك وضعت رجلك يا ابن محمد في غرز طويل الغي على أمة محمد عليه السلام . الله الله فانظر لنفسك لاتهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنكثها .. » <sup>(١٧)</sup> .

و واضح من النص السابق التزام المهلب بالوفاء وعدم نكث العهود ، والبعد عن الفتنة وما تجر اليه من ولات وسفك لدماء المسلمين ، ولم يكتف المهلب بنصح ابن الأشعث ، بل أرسل كتابا الى الحجاج يحذرء من خطر الفتنة الداهمة التي ستذهب عليه ، وينصحه أن يتخذ موقف الدفاع ضد ثورة ابن الأشعث ولا يخرج للقاء ، وحلل له طبيعة أهل العراق في العرب فقد خبرهم طويلا وقال في كتابه للحجاج « إن لأهل العراق شرء في أول مخرجهم ، وصباية الى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردهم حتى يسقطوا الى أهليهم ويشعروا أولادهم ثم واقفهم عندها ، فإن الله ناصرك عليهم ان شاء الله » <sup>(١٨)</sup> .

لم يأخذ الحجاج بنصيحة المهلب وتجهز لقاء جيش ابن الأشعث الزاحف على العراق وخرج الحجاج من البصرة حتى وصل

(١٧) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٢٨ .

(١٨) نفسه ، ص ٣٢٩ ، ابن خلدون ، م ٣ ، ص ١٠٧ .

« تستر » (مدينة بخوزستان) وهناك اصطدام مع ابن الأشعث في معركة عنيفة في يوم الأضحى سنة ٨١هـ ، فانهزم أصحاب العجاج وقتل منهم جمّع كثير، واضطرب العجاج إلى الانسحاب بفلوله إلى البصرة ، وابن الأشعث يطارده<sup>(١٩)</sup> . وهنا أدرك العجاج قيمة النصيحة التي أسدأها له المهلب ، فلما وصل البصرة ، طلب كتاب المهلب وأعاد قراءته وتفحص فحواه ثم قال لمن حوله : « الله أبوه ، أى صاحب حرب هو . وأشار علينا بالرأى ولكننا لم نقبل »<sup>(٢٠)</sup> .

ونكب المهلب في رجب سنة ٨٢هـ بوفاة ابنه المغيرة ، فحزن عليه حزناً شديداً ، وكان المغيرة نائباً عن أبيه في مرو ، فلما بلغه خبر وفاته وهو مقيم بكش أرسل ابنه يزيد إلى مرو ليتولى مراسم دفن أخيه ، وجعل يوصيه بما يفعل ودموعه تحدّر على لحيته<sup>(٢١)</sup> ، وبعد أن نظم الأوضاع في كش ، تركها متوجهاً إلى مرو وفي طريقه أصيب المهلب بمرض شعر معه بدنو أجله ، فجمع أولاده ، وأعلن استخلافه لابنه يزيد عليهم ، وأمرهم بعدم مخالفته ، فقال له ابنه المفضل : لو لم تقدمه لقدمناه<sup>(٢٢)</sup> ، وأحضر سهاماً فحزمت ، وقال : انكسرنها مجتمعة ؟

(١٩) التبرى ، ج ٢١ ، ص ٢٢٦ .

(٢٠) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٢٤٠ .

(٢١) نفسه ص ٢٥١ . ولما نشراء المغيرة ونهم ثبو أمامة زيد الأعجم الذي جاء في قصيده :  
والمساكينات بربنا ورساخنا  
القى الدلاء إلى قلوب المع

بكى المغيرة خيلنا ورساخنا  
كان المهلب بالغيرة كالدوى  
(راجع : وفيات ، ج ٥ ، ص ٣٥٢ ) .

(٢٢) الكامل ، ج ٤ ، ص ١٧٥ .

قالوا : لا قال : افتكسرنها متفرقة ؟ قالوا : نعم ، قال : فهكذا  
الجماعة .

وأوصى المهلب أبناءه قبيل وفاته وصيحة أوردتها معظم مصادر  
التاريخ ولأهمية هذه الوصية كأحد الوثائق التي تكشف عن  
شخصية زعيم آل المهلب ، والسياسة التي اعتنقها في حياته والتي يرغب  
من أبنائه أن يسلكوا سبيلها من بعده ، فقد أوردنا نص الطبرى لهذه  
الوصية : « فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ، فإن صلة الرحم تنسى  
في الأجل ، وتشرى المال ، وتكثر العدد وأنها لكم عن القطيعة ، فإن  
القطيعة تعقب النار ، وتورث الذلة والقلة ، فتحابوا وتوافقوا ، واجمعوا  
أمركم ولا تختلفوا ، .. وعليكم بالطاعة والجماعة ، ولتكن فعالكم  
أفضل من قولكم ، .. واتقوا الجواب وزلة اللسان ، فإن الرجل تزل قدمه  
فيتعش من زلته ، ويزل لسانه فيهلك . اعرفوا من يغشاكم حقه ، وآثروا  
الجود على البخل ، عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة ، فإنها أفعى في  
العرب من الشجاعة . عليكم بقراءة القرآن ، وتعليم السنن وأدب  
الصالحين ، وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم ، وقد استخلفت  
عليكم يزيد ، وجعلت حبيبا على الجناد حتى يقدم بهم على يزيد ، فلا  
تخالفوا يزيد » <sup>(٢٣)</sup> وتوفي المهلب بمرو الروز ، ودفن فيها ، وصلى عليه  
ابنه حبيب وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ٨٢ هـ <sup>(٢٤)</sup> .

(٢٣) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٢٥٤ .

(٢٤) ابن أخته ، م ٤ ، ص ٨٩ ، فراء الشاعر نهار بن توسة التميمي بقصيدة مطلعها :  
لام الدى والجود بعد المهلب      لا ذهب الغزو المقرب للنبي

## الفصل الخامس

آل المهلب تحت قيادة يزيد بن المهلب حتى وفاة

ال الخليفة عمر بن عبد الغزير (101هـ)



## الفصل الخامس

### آل المهلب تحت قيادة يزيد بن المهلب حتى وفاة

#### ال الخليفة عمر بن عبد الغizer (١٠١هـ)

بعد وفاة المهلب ، كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته ، فأقره الحجاج على خراسان مكان أبيه<sup>(١)</sup> ، وكان المهلب قد قال لمن حضره من أولاده قبيل وفاته - كما ذكرنا - قد استخلفت عليكم يزيداً فلا تختلفوا ، واعتقد أن هذا الإستخلاف لا يعني استخلافاً على خراسان فقط ، فهذا يتوقف على موافقة الخليفة والحجاج ، بل هو استخلاف على آل المهلب ، فأصبح يزيد بهذا الإستخلاف كبير آل المهلب وشيخهم ، ولذلك لا أميل إلى الأخذ برواية للطبرى - بدون سند على غير عادته - يقول فيها : « ويقال : أنه قال عند موته ووصيته (يقصد المهلب) : لو كان الأم مر إلى لوليت سيد ولدى حبيبا ». <sup>(٢)</sup>.

ولنا أن نتساءل : هل كان المهلب في استخلافه لابنه يزيد مكرهاً؟ وإذا لم يكن الأمر إليه في هذا الاختيار . فلمن كان إذن؟ ولاشك أن هذه الرواية - أن صحت - تتناقض مع وصية المهلب لأبنائه عن أهمية الجماعة وعدم الاختلاف وأن يطيعوا يزيداً ، فما كان المهلب يذر بذور الشقاوة بين أبنائه قبيل وفاته بمثل هذه العبارة.

(١) راجع : الطبرى ، ج ٦ ، من ٣٥٥ .

(٢) طبرى ، نفسه .

وفي سنة ٨٣هـ كان الحجاج بن يوسف الثقفي مازال على حرب ابن الأشعث ، وكانت أهم المعارك التي خاضها في هذه السنة معركة دير الجمامج ، المشهورة بالقرب من الكوفة ، والتي انكسر فيها جيش ابن الأشعث وتشتت شمال اصحابه<sup>(٢)</sup> ويهمنا من أمر هذه المعركة أن فريقا من جيش ابن الأشعث بعد أن انتهى بهم المطاف إلى سجستان ، طلبوا من قاتدهم أن يتركوا سجستان ويتوجهوا بجيشهم إلى خراسان وعليها يزيد بن المهلب ليستولوا عليها ويتقروا بها . ولكن ابن الأشعث حذرهم من هذه المغامرة وقال لهم : « على خراسان يزيد بن المهلب ، وهو ناب شجاع صارم وليس بتارك لكم سلطانه ، ولو دخلناها لوقعنا بين أهل خراسان وأهل الشام »<sup>(٤)</sup> ، ولكن أصحابه لم يستجيبوا له ، وكانوا يأملون أنهم اذا هاجموا خراسان سيجدون تأييدا من أهلها ، وأنها خير مستقر لهم بعيدا عن تهديد الحجاج والدولة الأموية<sup>(٥)</sup> .

استجاب ابن الأشعث لرغبة أصحابه بعد العاج ، وسار بهم في اتجاه خراسان وعندما وصلوا مدينة هراة حدث اضطراب في صفوف قواته أظهر اختلافها فيما بينها وانسحب جزء من جيشه بقيادة عبيد الله بن عبد الرحمن في ألفين ، مما أغضب ابن الأشعث ، فترك قيادة

رائع التفاصيل ، النميري ، ج ٢١ ، ص ٢٢٩ وما بعدها .

(٤) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٧٠ .

(٥) النميري ، ج ٢١ ، ص ٢٥٠ .

أصحابه وانسحب بخاصة من المعركة<sup>(٦)</sup>.

تجمع من بقى من جيش ابن الأشعث فى هراة بقيادة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة فى حوالى عشرين ألفا ، وبلغ خبر هذا الحشد يزيد بن المهلب فى خراسان ، وما فعلوه بناية على هراة « الرقاد ابن عبيد » عندما أراد التصدى لهم فقتلوه . فأرسل يزيد تحذيرا إلى عبد الرحمن جاء فيه : « قد كان لك فى البلاد متسعا ، ومن هو أقل منى حدا وأهون شوكة ، فارتحل الى بلد ليس لى فيه سلطان ، فإنى اكره قتالك ، وإن أحببت أن أمدك بما لسفرك أعتنك به »<sup>(٧)</sup> .

وتعلل عبد الرحمن بن العباس ليزيد بأنه ما نزل هذه البلاد لحرب أو مقام ، ولكن للراحة ثم الرحيل ، وكان يزيد يراقب ما يجرى فى هراة بحدر كعادة آل المهلب فى حروبهم ، فبلغه أن عبد الرحمن أقبل على جباهة ما تحت يده ، فادرك يزيد أن من أراد أن يرجع نم برحل لم يجب الخراج<sup>(٨)</sup> فتحرك يزيد بحرجاله فى اتجاه هراة وولى على الحرب أخاه المفضل ، واستخلف على مرؤ عاصمة خراسان خاله جديع بن يزيد ، وعندما وصل هراة ، بعث تحذيرا ثانيا إلى عبد الرحمن بن

(٦) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٧٠ . يقال إن ابن الأشعث حد تسامي حاد للأقامة مع ربيب ملك الترك الذى كان قد نوطدت بينهما الصداقة منذ رفض ابن الأشعث الدخول فى حرب ضد ربيب ، ووجه جبرونه لقتل العجاج (رابع : الطبرى ، ج ٦ ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، المعدى ، النبى والأشراف ، ص ٢٨٧ ) .

(٧) التبرى ، ج ٢١ ، ص ٢٥١ .

(٨) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٧١ .

العباس جاء فيه : « انك قد أرحت وسمت وجبيت الخراج فلك ما جبىت وزيادة ، فاخرج عنى فانى أكره قتالك » <sup>(٩)</sup> . ولكن عبد الرحمن ابن العباس لم يستجب لنداء المسالمة ، وكاتب جند يزيد يستميلهم ويدعوهم الى نفسه ، فاخبروا يزيد بذلك ، فعلم أنه لافائدة من العتاب والتحذير ، وأمر أخاه المفضل بالأشتباك ، ودارت معركة تصيرة انتهزم فيها جيش عبد الرحمن وفر معظم أصحابه من ميدان المعركة ، فأمر يزيد بن المهلب بالكف عنهم وعدم مطاردتهم ، ووقع منهم عدد كبير في الأسر ، وكان من بين الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص الذي قال ليزيد عندما مثل بين يديه : أسلوك بدعوة أبي لأريك ، فخلق يزيد سبيلاه <sup>(١٠)</sup> .

وتروى المصادر التاريخية أن حبيب بن المهلب حرض أخاه على عدم ارسال الأسرى في هذه المعركة من أهل اليمن إلى الحجاج ، لأن الحجاج سيضرب أعناقهم ، وقال له : بأى وجه تنظر إلى اليمانية إذا فعلت ذلك ، ورغم أن يزيد كان يعلم خطورة التعرض للحجاج في مثل هذا الأمر ، إلا أنه خضع لرأي حبيب وأنف أن يرد أسرى اليمانية إلى الحجاج ، وأما المضرية فشدهم في الحديد ووجههم إلى الحجاج <sup>(١١)</sup> .

(٩) النورى ، ج ٢١ ، ص ٢٥٢

(١٠) وكان سعد بن وقاص عندما بلغه حسن بلاء المهلب في معارك خراسان في عهد معاوية قال : اللهم لا ربه ذلة ، وأكثر ملأه رولده ، وقل أن مانع المهلب من خبر كان بهب هذه الدعوة . (راجع : المعارف ، ص ٢٤٢ ، الأنساب ، ص ١٢٨ - ٩٢٩) .

(١١) النورى ، ج ٢١ ، ص ٢٥٣

ويروى الطبرى أن العجاج عندما جاءه الأسرى من عند يزيد ابن المهلب ، حاكمهم في مجلسه ، واحداً بعد الآخر ، وكان بعد المحاكمة يأمر بضرب عنق الأسير ١ لم أتى بعد الله بن عامر ، فلما قدم بين يديه قال : لا رأت عيناك يا حاجاج الجنة إن أفلت ابن المهلب بما صنع .  
قال وما صنع ؟ قال :

لأنه كاس في اطلاق أسرته وقاد نحوك في أغلالها مضرا  
وهي بقومك ورد الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطرا  
فأطرق العجاج ملياً ، ووقرت في قلبها ، وقال : ملأت وذاك .  
وأمر بضرب عنقه ، ولم تزل في نفس العجاج حتى عزل يزيد عن  
خراسان وحبسه ٢ .

---

١) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ ، وقارن : التبرى ، ج ٢١ ، ص ٢٥٤ .

## عزل يزيد بن المهلب عن خراسان سنة ٨٥هـ

بعد أن فرغ العجاج من ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنة ٨٥هـ ، بدأ يرتب للقضاء على يزيد بن المهلب وعزله عن خراسان ، وأصبح لاهم له الا يزيد وأهل بيته ، « وقد كان العجاج أذل أهل العراق كلهم الا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل المصريين بخراسان، ولم يكن يتغافل بعد عبد الرحمن بن محمد بالعراق غير يزيد بن المهلب »<sup>(١٣)</sup>. ويبدو أن العجاج كان يرى في يزيد بن المهلب ، أكبر منافس له لدى الخلافة الأموية في دمشق ، وأنه يمكنه أن يحل مكانه ويتولى ما تحت يده من أعمال ، وحسب رواية ابن خلكان أن « العجاج يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة فيخشى منه أن يترتب مكانه ، فكان يقصده بالمراد كل وقت كي لا يشب عليه »<sup>(١٤)</sup> . ولما كان أهم ما يشغل بال العجاج في ذلك الوقت هو يزيد بن المهلب ، فكان العجاج كثيراً ما يسأل المنجمين عمن يكون مكانه ، فيقولون رجل اسمه يزيد ، فلا يرى من هو أهل لذلك سوى يزيد بن المهلب<sup>(١٥)</sup>.

ورغم ما كان يتمتع به العجاج من مكانة لدى الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أطلق يده في شؤون العراق والشرق ، الا أنه كان

---

(١٣) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٢٩٧

(١٤) وفيات ، ج ٦ ، ص ٢٧٨ .

(١٥) نفسه ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ، التبرى ، ج ٢١ ، ص ٢٦٤ .

يُشعر بأن يزيد بن المهلب بحظى باحترام وتقدير البلاط الأموي في دمشق وأراد الحجاج أن يختبر مكانته لدى عبد الملك فطلب منه أن يغفِّه مما نَحْتَ يَدِه من ولابات ، فأدرك عبد الملك هدفه ، ولم يجبه إلى طلبه <sup>(١٦)</sup>.

وتشذّر الروايات التاريخية أن الحجاج كان يبحث عن سبب لاقناع عبد الملك بن مروان بعزل يزيد عن خراسان ، فأكثر من الكتابة إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ويتهمهم بأنهم زبيرة <sup>(١٧)</sup> ، ومع علم عبد الملك بأن هذه تهمة لا قيمة لها الآن بعد ما حققه آل المهلب من انتصارات ضد أعداء الدولة الأموية ، الا أن الحاج الحجاج دفع الخليفة إلى أن يكتب إليه : « قد أكثرت في يزيد وآل المهلب ، فسم لي رجلا يصلح لخراسان ، فسمى له مجاعة بن سعد السعدي ، فكتب إليه عبد الملك : إن رأيك الذي دعاك إلى استفساد آل المهلب ، هو الذي دعاك إلى اختيار مجاعة ، فانظر لي رجلا حازما ماضيا لأمرك ، فسمى له قتيبة ابن مسلم ، فكتب إليه : قوله <sup>(١٨)</sup> .

ونستنتج مما سبق أن عبد الملك كان يدرك حقيقة مشاعر الحجاج وحقده على يزيد وآل المهلب ، وأنه كان يرمي إلى « استفساد آل المهلب » ورغم ذلك فقد استجاب الخليفة لطلب الحاجاج وعزل يزيد

(١٦) وفيات ، ج ٦ ، ص ٢٨٩ .

(١٧) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٩٥ .

(١٨) وفيات ، ج ٦ ، ص ٢٨٩ .

عن خراسان بقنية بن مسلم في ربيع الآخر سنة ٨٥هـ ، وكان هذا في اعتقادى من عالات الفتنة والصدام بين يزيد والحجاج مما يتذر بسوء العاقبة ، وكان الحجاج حريصاً في نفس الوقت أن يتم عزل يزيد عن خراسان وقد وصله إلى العراق بطريقه لاتشير مشاعره ، ولا تدفعه إلى الثورة والتمرد ، فلم يكتب العجاج إليه بالعزل بل كتب له باستخلاف أخيه المفضل وأن يقبل عليه بالعراق <sup>(١٩)</sup>.

وكان يزيد بن المهلب على علم بما يدبّه له الحجاج ، ورغم نصيحة مستشاريه له بأن يترى في الخروج إلى العراق على أمل أن الخليفة عبد الملك يعدل عن عزله ، الا أن يزيد كان محافظاً على التقاليد التي بشّها فيه والده المهلب ، وقال لمن حوله : « أنا أهل بيت بورك لنا في الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف » <sup>(٢٠)</sup>.

وهناك راوية تشير إلى أن يزيد في أواخر أيامه في خراسان تغير علىبني عمه وغيرهم من أجناد خراسان ، فجعل يغضّهم ولا ينفذ فيهم وصية أبيه حتى أبغضه أهل خراسان وكتابوا العجاج <sup>(٢١)</sup> ، وأنا لأأميل إلى هذه الرواية لتبرير عزل يزيد ، فالحجاج ما كان يشغله علاقة يزيد بأهل خراسان ورأيهم فيه ، بقدر ما كان يشغله أمور أخرى سبق ايفاصها ، وما يدحض هذه الرواية ، ما ترويه معظم المصادر أنه عندما خرج يزيد من خراسان إلى العراق صادف ترحيباً كبيراً في كل مكان

(١٩) الطبرى ، نفسه .

(٢٠) نفسه .

(٢١) ابن الأثير ، م ، ٤ ، ص ١٤٥ وما بعدها .

« فلم يمر ببلد الا فرشوا له الرياحين »<sup>(١)</sup>.

جس العجاج يزيد بن المهلب ومعظم أفراد أسرته وأخذهم بسوء العذاب وأغرمهم ستة ملابين درهم<sup>(٢)</sup>، وظل يزيد في سجن العجاج حتى سنة ٩٠ هـ حيث تمكّن يزيد ومن معه من إخوته من الهرب من قبضة العجاج . وتفاصيل ذلك أن العجاج كان قد خرج لحرب الأكراد الذين غلبوا على فارس ، وأنخرج معه يزيد ابن المهلب وأخوه ، فجعلهم في عسكره ، وجعل عليهم مثل الخندق ووضع عليهم حرما من أهل النام<sup>(٣)</sup> ، وواضح من هذا التصرف من جانب العجاج ، أنه كان يدرك خطر يزيد وآل المهلب رغم وجودهم في قبضته ، فكان يخشى هربهم ولم يأمن أن يتركهم ويخرج للغزو مما قد يعطى بعض العناصر للؤيدة لآل المهلب من التدخل لاطلاق سراحهم .

وكان يزيد رغم وجوده في الجس على اتصال بأسرته في البصرة، فبعث إلى أخيه مروان بن المهلب يخبره بعزمه على الهرب ، ويطلب منه أن يهد خيولا قوية تخسبا لوقت قد يستطيع فيه الإفلات من قبضة العجاج<sup>(٤)</sup> ، وفيهم من الروايات التي بين أيدينا أن العجاج في هذه

---

(١) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٩٦ ، التورى ، ج ٢١ ، ص ٢٦٥ .

(٢) وفات ، ج ٦ ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٣) طبرى ، ج ٦ ، ص ٤٨٨ ، التورى ، ج ٢١ ، ص ٢٦ .

(٤) ابن أثيم ، م ٤ ، ص ١٥٥ .

الفترة كان قد كف عن تعذيبهم ، واكتفى بأن يستصنfi أملاكهم  
ويخرج منهم ما يستطيع اخراجه من أموال ، تسدیدا لما أخذهم به ،  
وكان قد غرّمهم ستة ملايين درهم - كما ذكرنا - ويدو أن يزيد كان  
يعامل معاملة خاصة آنذاك ، وكان ينفق عن سعة وهو في العبس ]<sup>٢٦</sup>  
وكان له طباخ ومواتد منصوبة حتى استعمال قلوب الحراس ،<sup>٢٧</sup>  
ولذلك كان يمكن ليزيد أن يدب خدعة يهرب بها من حبسه ، وأمر  
يزيد أن يصنع طعام كثير للحرس وأن يقدم لهم الشراب ، واستغل  
انشغالهم فتتكر في ثياب طباخه ، ووضع لحية بيضاء وتسلل من بين  
الحراس ليلا وتبعه أخواه المفضل وعبد الملك<sup>٢٨</sup> ، ومن المحتمل أن يزيد  
قد دبر هذا الأمر بالاتفاق مع بعض الحراس الذين غمرهم بكرمه ،  
وأعطى السجان ألف درهم لتسهيل مهمة هربه<sup>٢٩</sup>.

ما وصل الخبر إلى العجاج بهرب يزيد وأخواته ظن أنهم  
سيتجهون إلى خراسان ويجمعون أنصارهم ، ويشرون فتنة ضده ،  
فأرسل إلى واليها قتيبة بن مسلم بأمره بالحذر والاحتياط ، فكان  
العجاج يخشى أن يحدث له من يزيد مثل ما فعل ابن الأشعث<sup>٣٠</sup>  
ولكن يزيد ومن معه من آل المهلب ، كانوا يفكرون في اتجاه آخر ،

(٢٦) التبرى ، ج ٢١ ، ص ٢١٧ .

(٢٧) طبرى ، ج ٦ ، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٢٨) ابن الأشم ، م ٤ ، ص ١٥٤ .

(٢٩) طبرى ، ج ٦ ، ص ٤٤٩ .

حيث أخذوا طريقهم الى فلسطين ونزلوا على أحد أفراد قبيلتهم وهو يزيد بن عبد الرحمن الأزدي الذي توسط ليزيد بن المهلب لدى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان مقينا في فلسطين في ذلك الوقت ، فأمنهم سليمان ، وكان لا بد أن يحصل لهم على الأمان من أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك ( ٩٦ - ٨٦ هـ ) فكتب إليه بذلك ، وطلب منه الخليفة أن يمثل يزيد وأخوه أولاً بين يديه قبل الأمان ، ولما خاف عليهم سليمان من بطش الخليفة أخبره أنه سيحضر بهم بنفسه ، ولكن الوليد أقسم أنه لن يعطيهم الأمان الا اذا حضروا بدونه ومقيدين <sup>(٢٠)</sup> .

ويظهر أن سليمان بن عبد الملك لم ينس بلاء آل المهلب وشهرتهم التي ذاعت في الآفاق وجهادهم ولولائهم للدولة الأموية ، لذلك أرسل مع يزيد وأخوه ابنه أبوب ، وطلب منه أن يدخل إلى الوليد وهو مقيد في قيد واحد مع يزيد بن المهلب ، ووجه سليمان كتاباً إلى أخيه يسرر فيه أسباب إجاراته ليزيد جاء فيه : « إنما أجرت يزيد بن المهلب لأنه وأباء وأخوه من صنائعنا قد يداها وحدينا ، فلم يجر إلا مسامعاً مطيناً حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته » <sup>(٢١)</sup> وتعهد سليمان بأن يرد عن يزيد كل ما يطلب منه من أموال <sup>(٢٢)</sup> . فأمن الوليد

(٢٠) طبرى ، ج ٦ ، ص ٤٥١ .

(٢١) ابن الأعشن ، م ٤ ، ص ١٥٨ .

(٢٢) طبرى ، ج ٦ ، ص ٤٥٢ .

بن عبد الملك يزيد وآل المهلب ، وكتب الى الحجاج بأن يكف يده عنهم ، فاستجاب الحجاج لأوامر الخليفة ، وكان أبو عينه بن المهلب عند الحجاج وقد أغمره مالا فكف عنه ، وأطلق سراح حبيب بن المهلب وكان يعذب بالبصرة<sup>(٢٢)</sup> . وأقام يزيد بن المهلب عند سليمان ابن عبد الملك وكانت الصدقة بين الرجلين تزداد قوة مع الوقت وكان سليمان يحسن استقباله ، ويقدم له الهدايا القيمة ويقبلها منه ، ولم يتمكن الروشان من إفساد هذه العلاقة القوية بينهما<sup>(٢٣)</sup> وظل الحال على ذلك حتى وفاة الوليد بن عبد الملك وتولى سليمان الخلافة سنة ٩٦هـ.

كان من المتوقع أن يحظى آل المهلب وعلى رأسهم يزيد بمكانته مرموقة ونفوذ قوى في ظل حكم الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ) الذي ما كاد يتولى الخلافة حتى دعا يزيد بن المهلب ، فخلع عليه وأكرمه ، وعزم على أن يوليه العراقيين البصرة والكوفة<sup>(٢٤)</sup> ، وفي نفس الوقت فإن أعداء آل المهلب وخاصة هؤلاء الذين كانوا من أنصار الحجاج (توفي ٩٥هـ) ، وشاركوا في بعض ما أصاب آل المهلب على يديه ، أصبحوا يتوجسون من العهد الجديد ، وتوقعوا أن يتم تصفية العسابات القديمة ، وأن يتعرضوا للانتقام ، فيذكر الرواية أن

(٢٢) وفيت ، ج ٦ ، ص ٢٩٤ .

(٢٤) راجع التفاصيل ، الطبرى ، ج ٦ ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(٢٥) ابن أثيم ، م ٤ ، ص ١٨٧ .

الخلافة عندما أتى سليمان بن عبد الملك ، خشي قتبية بن مسلم أن يعيده سليمان يزيد بن المهلب على خراسان ويعزله عنها بما يعنيه هذا من تعرضه وأنصاره لانتقام يزيد ، فكتب قتبية إلى سليمان ثلاثة كتب أرسلها مع رسول له : الكتاب الأول يهنته فيه بالخلافة ، ويدرك حسن بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد ، وأنه له عليه مثل هذا إن لم يعزله عن خراسان . فقتيبة في كتابه الأول لل الخليفة يربط بين ولائه له وبين بقائه واليا على خراسان محتميا فيها مما يتوقعه من أخطار.

والكتاب الثاني يذكر فيه الخليفة بفتحه وجهاده ومكانته وعظم قدره ، « ويدم آل المهلب ويحلف بالله لمن استعمل يزيد على على خراسان ليخلعنه » ، أما الكتاب الثالث فكان فيه خلع لل الخليفة وأعلن التمرد <sup>(٣٦)</sup>.

وبعد قتبية الكتب مع أحد خاصته ، وأوصاه أن يدفع الكتاب الأول إلى الخليفة ، فإن كان يزيد بن المهلب حاضراً مجلسه فقرأه ثم ألقاه إليه فادفع إليه بالكتاب الثاني ، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد فادفع إليه الثالث . وإنقرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحبس الكتابين عنه ، وقد حدث ما توقعه قتبية أولاً ، فكلما أعطاه مبعوثه كتاباً دفعه الخليفة إلى يزيد حتى أعاده الكتاب الثالث فقرأ سليمان : « لمن لم تقرني على ما كنت عليه وتومنني لأخلعك وأملأ لأنها عليك خيلاً

(٣٦) الترمذ . ج ٢١ ، ص ٢٣٩ .

ولم ينتظر قتيبة بن مسلم رد الخليفة على كتبه ، واستشار أخوه فأشاروا عليه بخلع سليمان بن عبد الملك ، فلما فعل ذلك ودعا القبائل التي في خراسان إلى مساندته في خلع سليمان لم يستجيبوا له ، فوقف قتيبة فيهم خطيباً فأساء إليهم وبسبهم ، فغضبت القبائل واجتمعوا على خلع قتيبة والتصدي له « وكان أول من تكلم في ذلك الأزد »<sup>(٣٨)</sup> وكان طبيعياً أن ينقم الأزد على قتيبة ل موقفه من آل المهلب وعدائهم لهم<sup>(٣٩)</sup> وانتهى الأمر بشورة القبائل في خراسان على قتيبة ، وقتل هو ومعظم أفراد أسرته وبعث برأسه إلى سليمان بن عبد الملك<sup>(٤٠)</sup>.

وكان سليمان بن عبد الملك بعد توليه الخلافة مباشرة قد أرسى ولاية العراق إلى يزيد بن المهلب ، وأمره أن يسط العذاب على آل أبي عقيل وهم أهل الحجاج ، فأرسى يزيد مهمة الانتقام منهم ومصادرة أملاكهم إلى أخيه عبد الملك<sup>(٤١)</sup> ، ورغم أن سليمان قد أطلق يد يزيد ابن المهلب في أهل الحجاج وخواصه ، إلا أن يزيد لم يكن يحمل طباع الحجاج ولا أخلاقه ، وكان أقرب إلى العفو منه إلى الانتقام

(٣٧) راجع التفاصيل : الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٠٧ - ٥١١ .

(٣٨) النميرى ، ج ٢١ ، ص ٣٤٠ .

(٣٩) تاريخ البغدادى ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٤٠) راجع التفاصيل : تاريخ البغدادى ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ، النميرى ، نهاية الأربع ، ج ٢١ ، ص ٣٤٠ - ٣٤٢ .

(٤١) النميرى ، ج ٢١ ، ص ٣٤٣ .

والتشفي ويفيدوا هذا واضحا في موقفه من يزيد بن أبي مسلم خليفة الحجاج وأحد خواصه، وكان سليمان قد قبض عليه ، وقال ليزيد بن المهلب « خذه إليك فعذبه باللون العذاب ، حتى تستخرج منه الأموال . قال : يا أمير المؤمنين أنا أعلم به ، لا والله ما عنده مال ، ولا كان من يحوي المال . وكان يزيد بن المهلب يعرف له جميل فعله به ، فولاه سليمان الصائفة » (٤٢) .

وفي سنة ٩٧ هـ استعمل سليمان بن عبد الملك ، يزيد بن المهلب على خراسان مضافاً إلى العراق فولى يزيد أخيه زباداً على عمان (٤٣) وكان سبب ذلك أن سليمان لما ولى يزيد العراق فوض البيه العرب والخرج والصلاة بها ، أى أصبحت ولاية عاملة ليزيد ، فنظر يزيد لأحوال العراق وما ألت إليه بعد أن خربها الحجاج ، وضيق على أهلها ، واستنزف أموالهم ، ورأى أنه إن تشد في جمع الخراج وعذب الناس لجمعة منهم صار عندهم مثل الحجاج ، لذلك احتال يزيد لدى الخليفة حتى يمسد إليه ولاية خراسان وكان الأمر قد جاء عفواً دون تدبير أو رغبة من يزيد (٤٤) .

ويبدو من روایة ابن الأثیر أن يزيد انشغل عن الخراج ، فأمسنت مهمة الخراج إلى صالح بن عبد الرحمن ، فضيق صالح على يزيد في

(٤٢) تاريخ البغدادي ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .

(٤٣) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٠٦ ، الأنساب ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(٤٤) راجع التفاصيل : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٢ ، النورى ، ج ٢١ ، ص ٢٤٤ وما بعدها .

الأموال حتى ضجر من البقاء في العراق وكان يزيد مشهورا بالكرم إلى حد الإسراف فقد اتّخذ ألف خوان يطعم الناس عليها فمنعها صالح .. واشترى يزيد متعاعداً وكتب صكاً يشمنه إلى صالح فلم يقبله، وادعى بأن الخراج لا يقوم بما يزيد يزيد<sup>(٤٥)</sup>.

وأعتقد أن الفرصة في العراق كانت ضيقة أمام طموحات يزيد وأل المهلب ، فمجال الغزو والفتحات ليست متاحة ليزيد في العراق ، ولعل هذا هو ما دفع يزيد إلى السعي لتولى خراسان تلك الولاية التي خبرها آل المهلب طويلاً في صراعهم مع الأزارقة وفي كفاحهم في سبيل الجهاد ونشر الإسلام ، فالغزو هو الطريق الذي اعتاده آل المهلب للحصول على الشهرة والمغانم ، فمن طريق الغزو يمكن تحقيق المكانة العالية المرموقة ، والثروات الطائلة التي تخضع الرقاب وتجمع الأنصار.

خرج يزيد بن المهلب إلى خراسان سنة ٩٧ هـ وكان قد سبقه إليها ابنه مخلد واستخلف الولاية على مدن العراق ، وجعل أخاه مروان على حوالجه وشئونه بالبصرة<sup>(٤٦)</sup> لما للبصرة من مكانة خاصة لدى آل المهلب .

وسعى يزيد بن المهلب بعد توليه خراسان في تحقيق ما كان يصبوا إليه من أهداف ، فبعد أن قبض على زمام الأمور في ولايته ، قضى على الثروات في جرجان وطبرستان ، وحارب الترك والديلم ، واستعان بآل

(٤٥) الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٤٦) النورى ، ج ٢١ ، ص ٢٤٦ .

المهلب في الأدارة والقيادة ، فولى ابنه مخلدا سمر قند ، وولى مدرك بن المهلب بلغ ومحمد بن المهلب مرو وعظم أمر يزيد بخراسان <sup>(٤٧)</sup> .

تمكن يزيد بن المهلب خلال فترة ولايته على خراسان لسليمان ابن عبد الملك من القيام بسلسلة من الفتوحات والغزوات الناجحة ، وكتب إلى سليمان بأمر هذه الفتوحات وأن الله قد فتح لأمير المؤمنين جرجان وطبرستان ومناطق قد استعصت على المسلمين من قبل <sup>(٤٨)</sup> « وقد صار في يدي ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفيء والغنيمة عشرون ألف ألف ». فقال له كاتبه : « لا تفعل أيها الأمير أن هذا يبقى عليك مخلدا بكتابك في دواوينهم ، فإن ولی بعده وال فتحاً مل علىك لم يرض منك الا بآضعاً فهـ ، وإن عدل عليك أخذك بما في كتابك » <sup>(٤٩)</sup> ونصحه أن يكتب إلى سليمان بن عبد الملك بالفتح وعندما يلتقي به يخبره بشأن الأموال حتى لا تؤخذ عليه ، فأبى يزيد وأمضى الكتاب ، وتصادف أن مات سليمان بن عبد الملك وتولى عمر بن عبد العزيز عندما وصل كتاب يزيد إلى عاصمة الخلافة <sup>(٥٠)</sup> .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن المهلب أن يستخلف على

(٤٧) راجع تفاصيل غزوات آل المهلب في هذه الفترة : البلاذري ، فتح البلدان ، ص ٤١٢ وما بعدها ، تاريخ البصرى ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٤٨) راجع : البلاذري ، ص ٤١٢ - ٤١٥ .

(٤٩) الحميري ، الروض ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٥٠) التورى ، ج ٢١ ، ص ٣٥٢ .

عمله ويقبل اليه ، فاستخلف يزيد مخلدا ابنه وقدم من خراسان وفي الطريق قبض على يزيد وقيد وأرسل به إلى عمر بن عبد العزيز الذي حبسه بحصن حلب <sup>(٥١)</sup> وطالبه بالأموال التي كتب بها إلى سليمان ، فأنكر يزيد هذه الأموال وير ذلك بقوله : « كنت من سليمان بالمكان الذي رأيت ، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني به » <sup>(٥٢)</sup> ، وطلب يزيد من عبد العزيز أن يطلق سراحه ليجمع له الأموال التي يطالبه بها فرفض عمر ذلك وقال « أتأخذها من الناس مرة أخرى » <sup>(٥٣)</sup> .

ويبدو أن عمر بن عبد العزيز كان غاضبا على يزيد بن المهلب قبل توليه الخلافة ، ولم يكن راضيا عن العلاقة الوثيقة التي كانت تربطه بسليمان بن عبد الملك ، والتي اعطته الفرصة ليتصرف بكثير من مظاهر الغرور وخاصة بعض الأعمال التي عرفت عن يزيد والتي تتسم بالأسراف في الهبات والعطایا التي كان يعتبرها عمر من أموال الدولة وليس ملكا ليزيد ، وقد صرخ عمر بن عبد العزيز بموقفه من يزيد لأحد خلصائه فقال : « العجب لأمير المؤمنين ( سليمان ) ، استعمل رجلا على أفضل ثغور المسلمين . فقد بلغنى عنمن يقدم من التجار من ذلك الوجه أنه يعطي الجارية من جواريه مثل سهم ألف رجل . أما

(٥١) الكامل ، ج ٥ ، من ٤٨ - ٤٩ ، الطبرى ، ج ٢٦٣ ، ٢١ .

(٥٢) الكامل ، نفسه .

(٥٣) تاريخ المغاربة ، ج ٠ ، من ٣٠٢ .

(٥٤) راجع : الطبرى ، ج ٦ ، من ٥٢٨ - ٥٢٩ .

والله ، ما الله أراد بولايته - فعرفت أنه يعني يزيد - فقلت : يشكر بلازهم أيام الأزارقة <sup>(٥٤)</sup> . وكان عمر يعلن عن كراهيته لآل المهلب ويقول : « هؤلاء جباره ولا أحب مثلهم » <sup>(٥٥)</sup> .

والواقع أن يزيد قد أظهر خلال حكم سليمان بن عبد الملك كثيرا من مظاهر التكبر والاعتداد بالنفس الذي وصل إلى أن يتحدى أفراد الأسرة الحاكمة ويواجههم بأعنف العبارات ، ومن الأمثلة على هذا ما رواه ابن قتيبة من أن سليمان بن عبد الملك سأله في مجلسه يوماً يزيد بن المهلب : فيمن العز بالبصرة ؟ فقال : فينا وفي حلفائنا من ربيعة ، وكان عمر بن عبد العزيز حاضراً فاستاء من هذا <sup>(٥٦)</sup> ، كما يروى أن يزيد بن عبد الملك أبدى ملاحظة على عطر كان يتعطر به يزيد بن المهلب أغضبه ، فوجه إليه ابن المهلب عبارات عنيفة جاء فيها : إلى يقال مثل هذا الكلام وأنا ابن المهلب بن أبي صفرة ، والله لئن وليت الخلافة وأنا حي لأضر بن وجهاك بخمسين ألف سيف <sup>(٥٧)</sup> .

وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان ، وحاول أن يتشفع لأبيه عند عمر بن عبد العزيز ولكن الخليفة كان مصراً علىأخذ يزيد بالمال الذي ذكره في كتابه لسليمان ، وكان الخليفة أراد الانتقام من صلف يزيد وغزوره فأمعن في تعذيبه والتشهير به ، فيروى أنه ألبسه جبة من صوف

(٥٥) الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٩ .

(٥٦) عمود الأخبار ، ص ٢٩١ .

(٥٧) ابن الأحمر ، م ٤ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

وحمله على جمل وشهر به بين الناس ، فلما صاح يزيد مناديا على أهل قبيلته من الأزد ، مستنجدًا بما يتعلّم به من تحقيير ، سارع من همس في أذن الخليفة برد يزيد إلى محبيه خوفاً من أن ينتزعه قومه غضباً له فرده عمر إلى العبس ، فلم يزل يزيد في حبسه حتى بلغه خبر مرض عمر بن عبد العزيز <sup>(٥٨)</sup> .

كانت العلاقة بين يزيد بن المهلب وولي العهد يزيد بن عبد الملك سيئة للغاية ، وقد أشرنا إلى الطريقة التي تعامل بها ابن المهلب معه من قبل ، فلما بلغ يزيد بن المهلب أن عمر بن عبد العزيز على فراش الموت ذكر في الهرب من محبيه خوفاً من بطش الخليفة الجديد ، ويروى أن سوء العلاقة يرجع في المقام الأول ، إلى أن يزيد بن المهلب عذب أصحابه آل أبي عقيل عشيرة الحجاج في خلافة سليمان بن عبد الملك <sup>(٥٩)</sup> فشفع يزيد بن عبد الملك في اخت لزوجته ( وهي ابنة أخي الحجاج ) لدى يزيد بن المهلب ، فلم يقبل شفاعته ، فهدده ابن عبد الملك إن أصبحت الخلافة له ليقطعن من جسده ، فرد عليه ابن المهلب : لكن كان ذلك لأرمينك بمائة ألف سيف <sup>(٦٠)</sup> .

راسل يزيد بن المهلب أهل بيته ومواليه من محبيه معلنا عن رغبته في الفرار ، فأعدوا له ذلك مثلما حدث من قبل عندما فر من سجن

(٥٨) طبرى ، ج ٦ ، ص ٥٥٧ - ٢٥٨ .

(٥٩) أبوزكريا الأزرى ، تاريخ الموصل ، ص ٣ ( القاهرة ١٩٦٧ )

(٦٠) الكامل ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

الحجاج ، وأغدق يزيد الأموال على عامل حلب وعلى الحراس  
المكلفين به ، وأعلمهم أن عمر بن عبد العزيز قد ثقل في مرضه  
وليس يرجى منه ، وان ولی يزيد الخليفة وهو في حبسه سفك دمه ،  
فساعدوه على الفرار ، وانتهى به المطاف إلى البصرة ، فلما بلغ مامته  
كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إنني والله لو علمت أنك تبقى ما  
خرجت من محبسى ، ولكنني لم آمن بيزيد بن عبد الملك <sup>(٦١)</sup> فقال  
عمر : اللهم أن كان يزيد بهذه الأمة شرا فاكفهم شره ، وأردد  
كيده في نحره <sup>(٦٢)</sup> .

---

(٦١) تاريخ الموصل ، ص ٣ .

(٦٢) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٦٤ ، التبرى ، ج ٢١ ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .



## الفصل السادس

ثورة آل المطلب على الدولة الأموية  
وموقعة العتر (١٠٢هـ)



## الفصل السادس

### ثورة آل المهلب على الدولة الأموية وموقعة العتر (١٠٢هـ)

كان من أهم من اغفل يزيد بن عبد الملك بعد أن تولى الخلافة سنة ١٠١ هـ طلب يزيد بن المهلب والقبض عليه . فكتب إلى والي البصرة في ذلك الوقت عدي بن أرطأة الفزارى ، بأمره يأخذ العبيطة من يزيد وتحذيره بأن أول ما يفكر فيه يزيد هو أن يلجم إلى البصرة حيث الأعوان والأنصار ، كما أمر الخليفة والي البصرة أن يأخذ من بها من آل المهلب وشيعتهم فيحبسهم ، فوقع في قبضته : المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب <sup>(١)</sup> .

أقبل يزيد بن المهلب من الشام وهو لا يعلم أن أخباره قد سبقته إلى البصرة ويجهل ما حلت من والي البصرة ضد أخيه وأنصاره ، فالتحق به أخوه محمد بن المهلب فيمتن لجتماع إليه من أهله وقومه ومواليه قبل دخوله البصرة ، وكان إليها قد حشد الأجناد وخندق حولها تخسياً بجئه يزيد ومن معه ، ورغم ذلك فإن البصرة كانت بالنسبة لآل المهلب مسكنًا وداراً فكانت تعرف ببصرة المهلب ، فلما أقبل يزيد اخترق جيوش عدي ودفعاته دون مقاومة أو اعتراض ، فيروى ابن

(١) طبرى ، ج ٦ ، من ٥٧٩ .

الأئير ، فأقبل يزيد لا يمر بخيل من خيالهم ولا قبيلة من قبائلهم الا تتحوا له عن طريقة . فأقبل يزيد حتى نزل داره ، فاختلف اليه الناس ، <sup>(١)</sup>.

ولما اجتمع معظم أهل البصرة حول يزيد بن المهلب ، كاتب عدی بن أرطأة في الصلح ، وعلى أن يطلق اخوته وعشائره من الحبس ، وتعهد يزيد أن يتركه في البصرة حتى يحسم الصراع بينه وبين يزيد بن عبد الملك ، ولكن عدی رفض الاستجابة للصلح <sup>(٢)</sup> وكان ذلك في أواخر سنة ١٠١ هـ .

استعد يزيد للدخول في مواجهة ضد والي البصرة ومواجهة الخلافة الأمورية في دمشق فحشد الرجال والأنصار لهذا الغرض ، وكان جوادا سخيا فأقبل عليه الناس ، وكان يغدق عليهم بقطع الذهب والفضة في الوقت الذي شع عليهم والي البصرة لعدم مقدرته على التصرف في الأموال التي تحت يده الا باذن من الخليفة <sup>(٣)</sup> . وانتهى الأمر باستيلاء يزيد على البصرة وأطلق سراح من بالحبس من أخوته وأنصاره وأتى بعدی بن أرطأة فحبسه مكانهم <sup>(٤)</sup> واستولى على بيت مال البصرة مما جعل في يده أخطر سلاح يمكن أن يستخدمه ضد

(١) المکامل ، ج ٥ ، ص ٧١ .

(٢) نوری ، ج ٢١ ، ص ٣٨٤ .

(٣) طبری ، ج ٦ ، ص ٥٨١ .

(٤) طبری ، ج ٦ ، ص ٥٨١ .

(٥) تاريخ الموصل ، ص ٨ .

أعداته ، فاغدق الأموال على رجاله ونعت العمال الى الأهزاز وفارس وكرمان <sup>(٦)</sup> ، وجمع رجاله وشيعته وخطب فيهم وحدد أهدافه من الخروج على يزيد بأنه لا يدعى لنفسه الخلافة ، ولكنه يدعونهم الى كتاب الله وسنة رسوله <sup>(٧)</sup> .

كان من سوء طالع يزيد بن المهلب وجود الحسن البصري في ذلك الوقت بما له من آراء في اعتزال الفتنة ، وتحت أتباعه على عدم الدخول طرفا في المنازعات ، فتروي المصادر أن الحسن لما سمع خطاب يزيد في رجاله قال : « ان هذا الذي يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد <sup>صلوات الله عليه</sup> ، هو الذي كان يقتل الناس بالأمس في هوئي بنى أمية » <sup>(٨)</sup> وسوف تكون هذه الدعوة من عوامل هزيمة يزيد فيما بعد .

استخلف يزيد بن المهلب أخاه مروان على البصرة <sup>(٩)</sup> وتحرك بحشوده في اتجاه مدينة واسط <sup>(١٠)</sup> وحشدت له الأزد وأحلافها ، وانحدر إليه أهله وخاصته <sup>(١١)</sup> ، وانضمت إليه أعداد كبيرة من أهل الكوفة ومن الشغرة ، وأحصى ديوان ابن المهلب مائة وعشرين ألف مقاتل ، ورغم ذلك فقد كان يتمنى أن يكون في صفوته من بخارasan من قومه

(٦) المسعودي ، التبيه والأشراف ، ص ٢٩٣ .

(٧) راجع : ابن أثيم ، م ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٨) الكامل ، ج ٠٠ ، ص ٧٦ .

(٩) تاريخ الموصل ، ص ٩ .

(١٠) المسعودي ، مرجوج ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ، الروض للطار ، ص ٤١٨ .

الأزد <sup>(١١)</sup>، وكان يزيد قد بعث أخاه مدرك بن المهلب إلى خراسان وعليها عبد الرحمن بن نعيم ليعحشد له الحشود ، ولكن ابن نعيم لم يستجب له ، وحرضبني تميم على التعرض لمدرك ومنعه من الوصول إلى خراسان خوفاً على نفسه من غضب الخليفة الأموية في دمشق <sup>(١٢)</sup>، ولكن الأزد سارعت باخراج ألفين من فرسانها لاستقبال مدرك ، ومنعوا بنى تميم من التعرض له بسوء ، ويروى ابن الأثير ، أن الأزد كانت لها وجهة نظر واضحة في هذا الصراع الدائر ضد الخليفة الأموية ، عبر عنه أحدهم لمدرك بن المهلب الذي قال له : « انك أحب الناس وقد خرج أخوك ، فإن ظهر فائماً ذلك لنا ونحن أسرع الناس إليكم وإن تلك الأخرى فرو الله مالك في أن يغشانا ما يعرنا فيه من البلاء ، فانصرف عنهم » <sup>(١٣)</sup> .

حشد الخليفة يزيد بن عبد الملك في مواجهة يزيد بن المهلب جيشاً كثيفاً تقدر المصادر من بين سبعين إلى ثمانين ألفاً ، ووضع على قيادته أحد أبطال الفتوحات الأموية أخيه مسلمة بن عبد الملك ومعه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك <sup>(١٤)</sup> وتحرك هذا الجيش إلى العراق وقدم الكوفة في أوائل سنة ١٠٢ هـ ، ويبدو أن الجر كان بارداً والطقس غير مناسب للقتال حتى أن مسلمة قال : « لست

(١١) الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٩ .

(١٢) تاريخ الموصل ، ص ٨ .

(١٣) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٨٦ .

(١٤) المسعودى ، التبيه ، ص ٢٩٤ .

هذا المزوني ، يعني ابن المهلب ، لا كلفنا اتباعه في هذا البرد ،<sup>١٥</sup>.

ويبدو أن خبر وصول جيش الخلافة إلى الكوفة قد أثار الذعر والاضطراب بين صفوف رجال يزيد بن المهلب الذي ساءه ذلك ، وشعر بأن الخوف بداية الهزيمة ، فاجتمع برجاله ووقف فيهم خطيبا فقال : « ما هذا الأضطراب إن قيل جاء مسلمة والعباس ، فهو الله ما مسلمة إلا جرادة صفراء .. وما أهل الشام إلا طعام قد حشدوا ما بين فلاح نذراع ودباغ وسفلة ، فأعيروني أكفكم ساعة تصفعون بها خراطيمهم فما هي إلا روحه أو غدوة حتى يحكم الله بيتنا وبين القوم الظالمين »<sup>١٦</sup>.

ترك يزيد بن المهلب واسط واستخلف عليها ابنه معاوية ، وسار حتى نزل في مكان بالقرب من الكوفة يسمى العقر<sup>١٧</sup> ، وكان قد بعث أخيه عبد الملك في محاولة لضرب الكوفة والاستيلاء عليها ، فاصطدم عبد الملك بجيش يقوده العباس بن الوليد وانتهى الأمر بينهما بهزيمة عبد الملك الذي انسحب بمن معه والتقي بأخيه عند العقر<sup>١٨</sup> وأقبل مسلمة بن عبد الملك ونزل بمواجهة ابن المهلب في صفر سنة ٢٠٢هـ ولم يبدأ القتال بين الجانبين إلا بعد ثمانية أيام<sup>١٩</sup> حدثت

(١٥) المزون : عياد وهو اسم من أسمائها (المفرد ، ص ٢٤٠) ، الكامل ، ج ٠٠٠ ص ٧٤ .

(١٦) الحميري ، الروض ، ص ٤١٩ ، المسعودي ، مروج ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .

(١٧) العقر يارض ي Ariel من ناحية الكوفة بالمرأى ، بين واسط وغندار (الروض ، ص ٤١٨) .

(١٨) المسعودي ، التبيه ، ص ٩٤ ، تاريخ الموصل ، ص ١٤ .

(١٩) النورى ، ج ٢١ ، ص ٢٨٧ .

خلالها نظرت خطيرة في صفوف يزيد بن المهلب .

أرسل مسلمة بن عبد الملك الرسل إلى يزيد بن المهلب يسأله أن يحقن الدماء ويرجع عما هو عليه ، وتعهد له في مقابل ذلك أن يوليه ويولى اخوته ما يرغبون من البلاد ، وأعلن استجابته لدعوة يزيد إلى الكتاب والسنة <sup>(٢٠)</sup> التي أعلنها لأصحابه . ويبدو أن مسلمة كان يعلمحقيقة الأوضاع في جيش يزيد واختلاف الآراء والنحل بين رجاله ، فقد أوجدت دعوه إلى قبول الكتاب والسنة انقساما خطيرا في صفوف يزيد يذكرنا بهذا الانقسام الذي حدث من قبل في موقعة صفين .

وكيفما كان الأمر فان يزيد بن المهلب عندما بدأ إعداد جيشه للمواجهة وأعد خطة الهجوم على جيش الخلافة الأموية ، وجد معارضة من بعض رجاله وعلى رأسهم السميدع الكندي من بني مالك بن ربيعة <sup>(٢١)</sup> وأيده في ذلك أبو رؤبة صاحب المرجنة وأتباعه . وكان رأيهم أن يتظروا ولا يبدأوا بقتال حتى يرد القوم برأيهم الذي زعموا أنهم قبلوه منهم <sup>(٢٢)</sup> . ولكن مسلمة بن عبد الملك كان قد هيأ جيشه للقتال ، فاضطر يزيد إلى الخروج لمواجهة رغم المعارضة التي حرمته من تنفيذ خططه في المبادرة بالهجوم ، فجعل على ميمنته حبيب بن المهلب ، وعلى ميسنته المفضل بن المهلب <sup>(٢٣)</sup> ودارت عند العقر

(٢٠) ابن أضم ، م ، ٤ ، ص ٢٥١ .

(٢١) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٨٣ .

(٢٢) الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٠ .

(٢٣) الروض ، ص ١١٩ .

معركة عنيفة بين الجانبيين أجمعـت المصادر على أن أصحاب يزيد قد خذلوه خلالها فانهزـموا عنه وولـى أكثرـهم الأدبار<sup>(٢٤)</sup> فيـروـي ابن الأثير أن مسلمة أمر أحد رجالـه بحرق الجـسر الذي عـقـده على نـهـر الفـرات ، فـلـما رأـى أصحابـ ابن المـهـلبـ الدـخـانـ انهـزـموا ، فـلـما رأـى يـزـيدـ ذلكـ تعـجـبـ من سـبـبـ انهـزـامـهـ وـفـارـهـمـ<sup>(٢٥)</sup> ولاـشكـ أنـ الدـخـانـ لـيـسـ هوـ السـبـبـ فيـ فـارـ أصحابـ يـزـيدـ ، وـسـوـفـ نـعـرـضـ لأـسـبـابـ هـزـيمـةـ العـقـرـ فيماـ بـعـدـ .

وهـكـذا اـتـهـتـ المـعـرـكـةـ بـهـزـيمـةـ يـزـيدـ ، وـلـاـ وـصـلـهـ خـبـرـ قـتـلـ أـخـيهـ حـبـيبـ شـعـرـ بـهـوـانـ الـحـيـاةـ ، فـاخـتـرـقـ صـفـوفـ جـيـشـ مـسـلـمـةـ فـيـ فـدـائـيـةـ وـسـالـةـ وـكـانـ يـغـيـيـرـ الموـتـ بـشـرـفـ فـيـ سـاحـةـ القـتـالـ التـىـ طـالـاـ صـالـ وـجـالـ فـيـهاـ سـنـوـاتـ طـوـالـ ، وـقـتـلـ يـزـيدـ كـلـ مـنـ كـانـ يـعـتـرـضـ طـرـيقـهـ حـتـىـ تـكـاثـرـ عـلـيـهـ أـمـلـ الشـامـ فـقـتـلـوـهـ وـقـتـلـ مـعـهـ مـحـمـدـ بـنـ المـهـلبـ<sup>(٢٦)</sup> ، وـيـرـوـيـ الـيـعقوـبـيـ أـنـ يـزـيدـ بـنـ المـهـلبـ خـاصـ هـذـهـ المـعـرـكـةـ وـهـرـ يـعـانـيـ مـرـضاـ شـدـيدـاـ فـكـانـ «ـ مـبـطـونـاـ شـدـيدـ الـعـلـةـ »ـ<sup>(٢٧)</sup> . وـلـاـ قـتـلـ يـزـيدـ بـنـ المـهـلبـ ،

(٢٤) الطـيـرىـ ، جـ ٦ـ ، صـ ٥٩٥ـ ، النـيـرىـ ، جـ ٢١ـ ، صـ ٢٨٦ـ .

(٢٥) الـكـاملـ ، جـ ٥ـ ، صـ ٨٢ـ .

(٢٦) تـارـيـخـ المـوـصـلـ ، صـ ١٢ـ - بـعـدـ قـتـلـ يـزـيدـ قـالـ الفـزـدقـ فـيـ رـأـيـهـ :  
وـلـاـ حـلـتـ لـتـىـ دـلـاـ وـضـعـ

بعدـ الـأـهـرـ أـصـبـ بـالـمـقـرـ

فـعـبـ الـجـمـالـ مـنـ الـمـالـ كـلـهـ

وـخـلاـ لـفـقـدـكـ مـجـلسـ النـصرـ

(٢٧) تـارـيـخـ الـعـقـوبـيـ ، جـ ٢ـ ، صـ ٣١١ـ .

المفضل مازال يقاتل جيش مسلمة ، فلما وصله خبر قتل أخوه : يزيد وحبيب ومحمد « تفرق الناس عنه » <sup>(٢٨)</sup> ، فانسحب المفضل إلى واسط وكان عليها معاوية بن يزيد بن المهلب وكان تحت يده عدد من الأسرى فلما بلغه هزيمة يزيد وقتله وما أصاب أعمامه ضرب أعناق الأسرى انتقاما لقتلاه <sup>(٢٩)</sup> .

تجمع من بقى على قيد الحياة من آل المهلب بالبصرة بعازال في حوزتهم من أموال ومتاع وأعدوا السفن في طريقهم إلى قندييل <sup>(٣٠)</sup> . وكان على إمارتها وداع بن حميد الأزدي الذي ادخره يزيد بن المهلب مثل هذا اليوم ، فكان قد أوصاه عندما ولأه قندييل بأن تكون أمان لآل المهلب اذا حل به مكروه <sup>(٣١)</sup> .

(٢٨) الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٤ ، التبری ، ج ٢١ ، ص ٢٨٨ .

(٢٩) تاريخ المقرئي ، ج ٢ ، ص ٢١١ ، تاريخ الموصل ، ص ١٢ .

(٣٠) قندييل مدينة بالستان وهي قصبة ولاية الندمة ( راجع معجم البلدان لياقوت ) .

(٣١) الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٥ .

## عوامل هزيمة يزيد بن المهلب في العقر (صفر سنة ١٠٢ هـ)

تضافرت عدة عوامل في نكبة يزيد وآل المهلب في يوم العقر وما تبع ذلك اليوم من مذبحة لاحق خلالها الأمويون آل المهلب في كل مكان وكأنهم كانوا يرمون إلى القضاء عليهم ومحو ذكرهم من الوجود، وأهم هذه العوامل في رأينا:

١ - الانقسام داخل صفوف جيش يزيد وبين قواه ، وقد أثار هذا الانقسام وعمقه ، ما قام به الحسن البصري - وهو فقيه له مكانة وأنصاره في البصرة - من تشكيك الناس في جدوى القتال وراء يزيد ، وواجه الحسن يزيدا أثناء خطابه في أصحابه في مسجد البصرة ، وحرض الناس على عدم الوثوق في ادعاءات يزيد ، وعدم المشاركة في الفتنة ، وكان يصيغ فيهم : « أيها الناس ، الزموا منازلكم وكفوا أيديكم ، واتقوا الله ربكم ، ولا يقتل بعضكم بعضا على دنيا زائلة » (١).

ولاشك أن هذه الدعوة كانت لها تأثير خطير على جيش يزيد بن المهلب ، مما جعل البعض يميل إلى رأي الحسن البصري ، وعندما حاول والي البصرة مروان بن المهلب أن يحشد الناس ليزيد بعد تحركه في اتجاه العقر ، كان الحسن البصري له بالمرصاد ولم يستطع مروان أن

---

(١) ابن أبى ، م ، ١ ، ص ٢٤٩ - قارن : الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٨٧ - ص ٥٨٨ .

يتصدى له لأن أنصاره كانوا على استعداد للوقوف في وجه مروان اذا تعرّض له بمكره ”<sup>(٣٣)</sup> .

ومن جهة أخرى فإن عناصر من المرجئة - وهم يمثلون إحدى الفرق الإسلامية المحابية التي ترفض الاشتراك في الفتنة، ولا تؤيد فريقاً دون آخر - كانوا بين صفوف جيش يزيد بن المهلب ولعل ما دفعهم إلى انخراطهم في جيشه ما أغدقه يزيد على جنده من العطايا والهبات، وفي الوقت الذي كان يحتاج فيه يزيد إلى حشد قواه لمواجهة أعدائه، خرج أحد رجاله وهو السميدع واعتربه قاتلاً : « إننا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وقد زعموا أنهم قبلوا هذا منا ، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ، ولا نريد لهم بسوء حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا ». قال أبو رؤبة - وكان رأس طائفة من المرجئة ومعه أصحاب له - هكذا ينبغي » <sup>(٣٤)</sup> .

- ٢ - الشقة الزائدة في النفس التي تلغي الحذر ، وتنصل إلى الغرور من جانب يزيد بن المهلب ، فقد كان أبوه من قبل يتعرّز من أعدائه ولا يستهين بهم في كل الأحوال ، وقد تربى يزيد في هذا الجو وخاص في حياة أبيه العديد من المعارك ومر بالكثير من التجارب ، وكان المفروض أن يعي الدرس ، ولكن نلاحظ في هذه المعركة أن يزيداً كان ينظر إلى أعدائه بدون اكتئاث ، وكان الانتصار عليهم مسألة وقت ، مع العلم

(٣٣) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٩٦ .

(٣٤) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٩٣ ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٠ .

بـأن الخليفة الأموي قد وجه لقتاله قاتلـين من أقرب الناس اليـه ،  
 أحدهما وهو مسلمـة كان أحد أبطـال الغزو والجهاد في الجبهـة  
 البيزنطـية ، وبالرغم من ذلك فقد سخـر يزيد من هذه القيـادة ، ولام  
 رجالـه لـتـخـوفـهم من أهل الشـام ، وقد يغـفر له ما قالـه تشـجـيعـاً لـجنـودـه ،  
 ولكـنه قـللـ من شأن أعدـائـه ولم يـحـسـن تـقـدـيرـ قـوـتهم ، فـمـنـ بيـنـ ماـ قالـه  
 لأـصـحـابـه : انه قد ذـكـرـ لـىـ أنـ هـذـهـ الـجـرـادـةـ الصـفـراءـ - يـعـنىـ مـسـلمـةـ بنـ  
 عـبـدـ الـمـلـكـ ، وـعـاقـرـ نـاقـةـ ثـمـودـ - يـعـنىـ العـبـاسـ بنـ الـولـيدـ - أنه ليس  
 هـمـهـاـ إـلاـ التـمـاسـ فـيـ الـأـرـضـ ، وـالـلـهـ لـوـ جـاءـ أـهـلـ الـأـرـضـ جـمـيعـاـ  
 وـلـيـسـ إـلاـ أـنـاـ ، ماـ بـرـحـتـ الـعـرـصـهـ حـتـىـ تـكـونـ لـىـ أوـلـهـمـ ، <sup>(٢٥)</sup> وـتـسـأـلـ  
 فـيـ تـعـجـبـ : «ـ قـدـ رـأـيـتـ أـهـلـ الـعـسـكـرـ وـخـوـفـهـمـ يـقـولـونـ جـاءـ أـهـلـ الشـامـ  
 وـمـسـلمـةـ ، وـمـاـ أـهـلـ الشـامـ ؟ـ هـمـ إـلاـ تـسـعـةـ أـسـيـافـ سـبـعـةـ مـنـهـاـ إـلـىـ وـسـيفـانـ  
 عـلـىـ » <sup>(٣٦)</sup>.

وـنـتـيـجـةـ لـهـذـاـ الـأـعـتـدـادـ الشـدـيدـ بـالـنـاتـ لـمـ يـسـتـجـبـ لـشـورـةـ قـوـادـهـ  
 وـأـهـلـ يـتـهـ ، وـكـانـ قـدـ اـسـتـشـارـهـمـ عـنـدـمـاـ تـوـجـهـ إـلـىـ وـاسـطـ عنـ رـأـيـهـمـ فـيـ  
 الـخـطـوـةـ التـالـيـةـ فـاـقـتـرـحـ عـلـيـهـ حـبـيـبـ بنـ الـمـهـلـبـ وـبعـضـ قـوـادـهـ أـنـ يـخـرـجـ  
 بـأـصـحـابـهـ إـلـىـ فـارـسـ فـيـتـحـصـنـ بـشـعـابـهـاـ وـجـالـهـاـ وـيـسـتـولـيـ عـلـىـ القـلـاعـ  
 وـالـحـصـونـ فـيـنـضـمـ إـلـيـهـ مـنـ بـهـاـ مـنـ قـوـمـهـ وـمـوـالـيـهـ ، فـرـفـضـ يـزـيدـ هـذـهـ  
 الـفـكـرـةـ <sup>(٣٧)</sup> فـذـكـرـهـ حـبـيـبـ بـأـنـهـ قـدـ مـبـقـ وـنـصـحـهـ عـنـدـمـاـ اـسـتـولـيـ عـلـىـ

(٢٥) الطـيـرىـ ، جـ ٦ـ ، صـ ٥٩٢ـ .

(٢٦) الـكـاملـ ، جـ ٥ـ ، صـ ٧٥ـ .

(٢٧) تاريخ المـوـصـلـ ، صـ ١١ـ .

البصرة أن يسارع فيرسل خيلاً للاستيلاء على الكوفة ، وكان واليها قد عجز عن التصدى ليزيد عندما مر عليه حين قدومه من الشام ، وليس معه إلا سبعون رجلاً ، فيسبق إليها أهل الشام ، وكان أهل الكوفة على استعداد لتأييد نيزيد ويفضلون أن يلى أمرهم على أن يخضعوا لأهل الشام ، فلم يستمع يزيد لنصيحة حبيب <sup>(٢٨)</sup>.

كما أنه حين أوشكت الهزيمة أن تخلي بيزيد في العقر ، نصحه بعض رجاله أن ينصرف إلى واسط ويتحصن بها وقال : « فیأتیک مدد أهل البصرة ، ویأیتک أهل عُمان والبحرين في السفن ، وتضرب خندقاً .. » فقال له : قبَعَ اللَّهُ رَأْيُك .. الموت أيسر على من ذلك <sup>(٢٩)</sup>.

- ٣ - وأخيراً .. تفرق الناس عن يزيد بن المهلب عندما نشب القتال في الوقت الذي كان في أمس الحاجة إلى تمسكهم وانخادهم ، الواقع أنهم لم يفرقهم الدخان الذي انطلق من الجسر المحروق كما ظن يزيد ولكن معظم الذين كانوا يحاربون في صفوف يزيد في تلك المعركة كان يجمعهم المال ، وتفرقهم الرهبة والخوف ، لاسيما وأنهم يواجهون جيش الخلافة الأموية ، وعلى رأسه مسلمة بن عبد الملك ، وكان هذا يعني بالنسبة لهم خروجاً على السلطة الشرعية بعكس حربهم التي سبق أن خاضوها تحت قيادة آل المهلب سواء ضد الأزارقة وهم أعداء الدولة وخارجون عليها، أو ضد الأقاليم التي أعادوا إخضاعها

(٢٨) الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٧.

(٢٩) تاريخ الموصل ، ص ١١.

أو فتحوها ، فهى أعمال فى صالح الدولة الأموية وتحت رايتها . لذلك كان من السهل على البعض أن يجد مبررا للانسحاب والهرب عند الشعور بالخطر . وكان هذا موقف بعض العناصر القريبة من آل المهلب ، وخير مثال على هذا موقف أزد خراسان <sup>(٤٠)</sup> الذى سبق أن أشرنا إليه .

وكيفما كان الأمر ، فإن المفضل بن المهلب تولى زعامة الأمرة فى هذا الوقت الحرج ، فيروى الطبرى : أن معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة من واسط ، حمل معه الخزائن وبيت المال ، فأراد أن يتآمر على آل المهلب ، فاجتمعوا وقالوا للمفضل أنت أكبرنا وسيدنا ورولوه قيادتهم <sup>(٤١)</sup> ، فركب المفضل بالمهلب فى السفن من البصرة ، ورست السفن فى البحرين للراحة والتزود بالمؤن فالتقى بهم واليها من قبل يزيد بن المهلب ويدعى هرم بن القرار العبدى <sup>(٤٢)</sup> فنصحهم بالا يتركوا سفنهم وقال : «إنى أخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يتخطفكم الناس وأن يتقربوا بكم إلى بني مروان» <sup>(٤٣)</sup> .

ورغم ما فى قول هرم من بعض الحقيقة ، فما كان أحد من الأعوان والأنصار يستطيع أن يحمى آل المهلب فى ذلك الوقت من بطش الدولة الأموية بسيطرتها وجيوشها ، ولكنه فى نفس الوقت كان

---

(٤٠) الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٥ .

(٤١) الطبرى ، ج ٦ ، ص ٦٠١ .

(٤٢) نفسه ، ص ٦٠٠ .

يرغب في ابعادهم عن التفكير في الاحتماء بالبحرين .

ويرى العوبي أن السفن التي تحمل آل المهلب توجهت من البحرين إلى عمان وكان على ولادتها في ذلك الوقت زياد بن المهلب الذي رحب بأسرته في وطنهم الأصلي وشجعهم على البقاء في عمان بين أهلهما ، ولكنهم أبوا ذلك <sup>(٤٢)</sup> .

والواقع أنه ليس هناك ، في رأينا ، ما يبرر عدم لجوء آل المهلب في هذه المرحلة الحرجة إلى وطنهم عمان حيث الأمان والاستقرار بالنسبة لهم ، إلا احتمال أنهم كانوا يأملون في التحصن بقندabil ، وأن ينضم إليهم أهلهما ومواليهم في فارس مما قد يعطيمهم الفرصة في العمایة من بطش الدولة الأموية ومواصلة الكفاح ضدها للثأر مما أصابهم .

وعلى أي حال فإن آل المهلب مضوا في سفنهم حتى إذا كانوا بحذاء جبال كرمان خرجوا إلى الساحل وحملوا ما معهم على الدواب ، وفي كرمان اجتمع إلى المفضل قلول من أنصاره ، وكانت عيون مسلمة بن عبد الملك تراقب تحركات آل المهلب للقضاء عليهم قبل أن يتمكنوا من حشد حشودهم واصطدام الأعوان ، فبعث مسلمة في أمرهم « مدرك ابن ضب الكلبي » الذي لحق بهم ، والتسقى الجانبان في معركة عنيفة قتل فيها عدد كبير من أصحاب المفضل ، كما رجع بعضهم وطلبو الأمان من مسلمة فأمنهم <sup>(٤٣)</sup> ، وتمكن

(٤٢) الأنساب ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .

(٤٤) راجع التفاصيل ، الطيري ، ج ٦ ، ص ٦٠١ - ٦٠٢ .

المفضل من الخروج من المعركة بمن معه من آل المهلب ومن بقي على ولائه لهم قاصداً قنديايل على رجاء الأحتماء بها حسب الاتفاق الذي كان بين يزيد بن المهلب وبين والبها وداع بن حميد ، وفي قنديايل كان يتضرر آل المهلب مفاجأة أخرى ، فيبدو أن وداع قد أعاد تقدير الموقف ، وأدرك أن دخول آل المهلب قنديايل فيه نهايته ، لاسيما أن يزيد بن عبد الملك قد بعث جيشاً آخر بقيادة هلال بن أحزى التميمي في طلب آل المهلب وأمره أن لا يلقى منهم من بلغ الحلم إلا ضرب عنقه<sup>(٤٥)</sup> .

لحق هلال بن أحزى آل المهلب قبل دخولهم قنديايل ، ورفع راية الأمان للناس فكان أول من استجاب للأمان وداع صاحب قنديايل ، وتفرق الناس عن آل المهلب الذين تقدموا بسيوفهم فقاتلوا بفداءية واستبسال حتى قتل معظمهم وهم : المفضل وعبد الملك وزياد وموان بنو المهلب ، ومعاوية بن يزيد بن المهلب ، والنهاش بن أبي عبيدة بن المهلب وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، ولم يفلت منهم إلا أنها عبيدة ابن المهلب وعثمان بن المفضل اللذين فرا إلى بلاد الترك<sup>(٤٦)</sup> .

وبعث هلال بن أحزى برؤوس القتلى والنساء الأسرى من آل المهلب إلى مسلمة بن عبد الملك وهو بالعيرة ، فلما أراد مسلمة بيع الأسرى عرض الجراح بن عبد الله الحكيمى مائة ألف درهم ثمناً لهم ،

(٤٥) المسعودى ، مروج ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٤٦) البلاذري ، ص ٥٤٠ ، التورى ، ج ٢١ ، ص ٢٩٠ .

فلم يأخذ منه مسلمة شيئاً وأطلق سراحهم<sup>(١٧)</sup> أما الأسرى الرجال فأمر  
يزيد بن عبد الملك بضرب أعناق من بلغ الحلم منهم ، والغريب في  
الأمر أن غلاماً من آل المهلب لم يقتل لصغر سنّه ، ولكنه صاح بهم أن  
يقتلوه . وقال : « أنا أعلم بنفسي فقد احتلمنت روطث النساء فأمر به  
قتل »<sup>(١٨)</sup> ، وقام يزيد بن عبد الملك بمصادرة أملاك آل المهلب في  
كل مكان وأقطعها لأنصاره<sup>(١٩)</sup> .

(١٧) الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٦ .

(١٨) التبردي ، ج ٢١ ، ص ٣٩١ .

(١٩) راجع : البلاذري ، ص ٤٥١ - ٤٥٤ .

## المقدمة

ظل آل المهلب على عدائهم للدولة الأموية بعد النكبات التي حلّت بهم ، ولكن لم يكن لهم دور مؤثر في الأحداث لسنوات طويلاً بعد نكبتهم على يد يزيد بن عبد الملك ، وان كانت المصادر التي بين أيدينا لم تعطينا المعلومات الالازمة عن آل المهلب في الفترة التالية لنكبتهم الا أن ما ذكر بعد ذلك في أحداث سنة ١٢٩ هـ يدل على أن آل المهلب قد بدأوا يستعيدون نفوذهم ويجمعون حولهم الأنصار وخاصة في مدینتهم البصرة وأقاليم الأهواز الذي عاصر انتصارتهم على الأزرقة . ففي أثناء الصراع بين أبي مسلم الخراساني والقائد الأموي نصر بن سيار على خراسان سنة ١٢٩ هـ ظهر على مسرح الأحداث أحد أفراد آل المهلب وهو « سليمان بن حبيب بن المهلب » فيروى البغوي :

وَثَبَ سَلِيمَانُ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ الْمَهْلَبِ بِالْأَهْوَازِ سَنَةَ ١٢٩ هـ ، فَوَجَهَ إِلَيْهِ الْقَائِدُ الْأَمْوَى يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هَبِيرَةَ ، نَبَاتَةُ بْنُ حَنْظَلَةَ الْكَلَابِيِّ ، فَاقْتَلُوا قَتْلًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْهَزَمَ سَلِيمَانُ فَلَحقَ بِفَارَسَ ، «<sup>(١)</sup> مَا يُوحَى بِأَنَّهُ انْضَمَ إِلَى جَيْوَشِ أَبِي مُسْلِمِ الْخَرَاسَانِيِّ الَّذِي كَانَ يَحْرُبُ الدُّولَةَ الْأَمْوَى فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ .

<sup>(١)</sup> تاريخ المغاربي ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .

ويبدو أن أمراء آل المهلب ظلوا يساندون الدعوة العباسية حتى  
تحقق أهدافها بالقضاء على الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ ، فعندما أعلن  
أبو سلمة الخلال صاحب الدعوة العباسية في الكوفة الدعوة للعباسيين ،  
قام سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب باعلان الثورة في البصرة ولبس  
السواد شعار الدولة العباسية وحارب والي الأمويين واستولى على  
المدينة <sup>(١)</sup> وقد كافأ العباسيون سفيان بن معاوية بأن أمندو اليه ولاية  
البصرة ، وردوا اليه أملاك آل المهلب التي صادرتها الدولة الأموية <sup>(٢)</sup> .

(١) العقري ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ ، الأنساب ، ج ٢ ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٥٨ ، البلاذرى ، ص ٤٥١ .

## تعريف المدن والمواقع المهمة

**إقليم الجبال** : يطلق على البلاد الجبلية الواسعة الممتدة من سهول العراق والجزيرة في الغرب ، إلى مفارقة فارس في الشرق ، ثم سمي هذا الأقليم بعراق العجم . ( البلادى ، فتوح البلدان ، ص ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٣٧٧ - ٣٧٩ ) .

**بركاءان** : أو أيركاران ، جزيرة عظيمة في بحر فارس ، بين عمان والبحرين فتحها الحكم بن أبي العاص ( البلادى ، فتوح ، ص ٤٧٦ ، ٤٨٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ح ١ ، ص ٣٩٩ ) .

**تسوج** : وهي توز بالزاي ، مدينة بفارس قريبة من كارزون ، وقد فتحت في أيام عمر بن الخطاب ، ونزلها المسلمون من عبد القيس . ( فتوح البلدان ، ص ٤٧٧ ، معجم البلدان ، ح ٢ ، ص ٥٦ - ٥٨ ) .

**جزجان** : أو جوزجان ، هما واحد ، وهو اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان ، وهي بين مرو الروذ وبلغ ، ومن مدنها الأنبار وكلار وفارياب . ( فتوح ، ص ٣٥٣ ، ٤٥٠ ، معجم البلدان ، ح ٢ ، ص ١٨٢ ) .

**جيرفت** : مدينة كبيرة من أعيان مدن كرمان وأنزمها وأوسعها ،

كثيرة الخيرات وافرة الثمرات ، وفتحت جيرفت في  
خلافة عمر بن الخطاب . ( فتوح ، ص ٤٨٢ ،  
معجم البلدان ، ح ٢ ، ص ١٩٨ ، القزويني ، آثار  
البلاد ، ص ١٨١ - ١٨٢ ).

خوزستان : وهو اسم لجميع بلاد الخوز ، من نواحي الأهواز ،  
بين فارس وواسط والبصرة وجبال اللوز المجاورة  
لأصفهان . ( معجم البلدان ، ح ٢ ، ص ٤٠٤ ،  
البغدادي ، مراصد الأطلاع ، ح ١ ، ص ٤٩٠ ).

حلوان : حلوان العراق ، آخر حدود السواد ، مما يلي الجبال ،  
مدينة كبيرة ( فتوح ، ص ٤٥٨ ، ٣٢٤ ) .

رامهرمز : يعني رام بالفارسية المراد والمقصود ، وهرمز أحد الأكاسرة  
فهذه الكلمة مركبة معناها مراد أو مقصود هرمز ، وهي  
مدينة مشهورة بنواحي خوزستان ( فتوح ، ص ٤٦٤ -  
٤٦٧ ، معجم البلدان ، ح ٣ ، ص ١٧ ) .

رواند : بلدية قرب قانان وأصفهان ، وأصلها رهوند ، ومعناها  
الخير المضاعف ، وهي في إيران الآن ( فتوح ، ص  
٣٩٨ ، معجم البلدان ، ح ٣ ، ص ١٩ ) .

رسقباذ : من أرض دستوا ، ودمتوا بلدة بفارس ، وقيل بالأهواز  
( فتوح ، ص ٣٤٥ ، معجم ، ح ٣ ، ص ٤٣ ، مراصد ،

ح ٢ ، ص ٥٢٧ ) .

**سابور** : كورة مشهورة بأرض فارس ، وبهذه الكورة مدن كبيرة ،  
بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخا ، ومدينتها  
النوبندجان (فتح ، ص ٤٧٧ - ٤٧٩ ، معجم ،  
ح ٣ ، ص ١٦٨ ، ١٦٧ ، آثار البلاد ، ص ٢٠٠) .

**سجستان** : ناحية كبيرة جنوب هراة (فتح ، ص ٣٦٨ ، ٣٨٧) .

**سرخس** : مدينة قديمة من نواحي خراسان ، كبيرة واسعة ، وهي  
بين نيسابور ومرودني وسط الطريق (فتح ، ص ١ ، ٥٠١ ،  
معجم ، ح ٣ ، ص ٢٠٨ ، آثار ، ص ٣٩٠) .

**سلى وسلبرى** : سلى جبل بمناذر من أعمال الأهواز ، وسلبرى عند  
سليمانباد ، ومجموع اللفظين موضع واحد من نواحي  
خوزستان قرب جنديسابور وكانت به وقعة للخوارج مع  
المهلب بن أبي صفرة قتل فيها عبد الله بن الماخور  
أمير الخوارج ، وفي ذلك يقول بعض الخوارج :

بسلى وسلبرى مصارع فتية

كرام وقتلى لم توسد خدودها

(ياقوت ، معجم البلدان ، ح ٣ ، ص ٢٣٢) .

**صفد** : كورة بين بخارى وسمرقند تشمل قرى متصلة خلال  
الأشجار والبساتين ، والصفد اسم للوادى والنهر الذى

شرب هذه النواحي منه ، وقيل هما صغان : صغان  
سمر قند ، وصغان بخارى ( معجم ، ح ٣ ، ص ٤٠٩ ،  
آثار البلاد ، ص ٥٤٣ ، مراصد ، ح ٢ ، ص ٨٤٢ ).

الطالقان : بلدة بين مرو الروذ وبلغ ، وهى أكبر مدينة بطخارستان ،  
وهي فى مستوى لأرض قرية من جبال الديلم ، ولها  
نهر كبير يسأين ( معجم ، ح ٤ ، ص ٦ ، آثار ، ص  
٤٠٢ ، فتوح البلدان ، ص ٥٠٣ - ٥٠٦ ) .

فاریاب : مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلغ  
غربي جيحون ، ومن فاریاب الى طالقان ثلاثة مراحل ،  
ومن فاریاب الى بلغ ست مراحل ( فتوح ، ص ٥٠٣ -  
٥٠٤ ، معجم ، ح ٤ ، ص ٢٢٩ ، مراصد ، ح ٣ ،  
١٠١٤ ) .

قرميسين : بقرب كرمانشاهان بين همدان وحلوان ، على جادة الحج  
( فتوح ، ص ٣٧٠ ، الفزويني ، آثار ، ص ٤٣٣ ) .

کابل : أرض کابل اسم يشمل ناحية بين الهند ومجستان ، وهى  
ولاية ذات مروج كبيرة ، ونسبة الى الهند أولى ، وهى  
عاصمة باكستان الان . ( فتوح ، ص ٤٨٨ - ٤٩١ ،  
معجم ، ح ٤ ، ص ٤٢٦ ، آثار ، ص ٢٤٣ ) .

کش : مدينة على ثلاثة فراسخ من جرجان على جبل بقرب

سمرقند حصينة ، مساحتها ثلاثة فراسخ في مثلها ،  
وقيل قرية من قرى أصبهان . (فتح ، ص ٥١٤ -  
٥١٥ ، معجم ح٤ ، ص ٤٦٢ آثار ، ص ٥٥٤) .

مروالسرود : مدينة قرية من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام ، بين  
الغور وغزنة ، واسعة وهي على نهر عظيم فلهذا سميـت  
 بذلك ، لأن الروذ بالفارسية النهر ، ومات المهلب ابن  
 أبي صفرة بمرو الروذ هذه . (فتح ، ص ٥١٢ -  
٥١٤ ، معجم ، ح٥ ، ص ١١٢ ، آثار ، ص ٤٥٥) .

نهر تيرى : اسم لنهر يولد من نواحي الأهواز ، وله ذكر في أخبار  
الفتوح والخارج . (فتح ، ص ٤٦٤ ، معجم ، ح٢  
ص ٦٦ ، ح٥ ، ص ٣١٩ ، مراميد ، ح٣ ،  
١٤٠١) .

نيسابور : مدينة من مدن خراسان ، ذات فضائل حسنة وعمارة ،  
يinها وبين مرو الشاهجان ثلاثون فرسخا (فتح ، ص  
٥١١ ، معجم ، ح٥ ، ص ٣٣١ ، آثار البلاد ، ص  
٤٧٣) .

هراه : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان ، قرب  
اصطخر ، كثيرة البساتين والخيرات (فتح ، ص  
٤٩٩ ، معجم ، ح٥ ، ص ٣٩٦ ، آثار ، ص ٢٨١) .

## ثبت بأهم مصادر البحث

- ابن الأثير : على بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) :  
الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٨٢
- ابن أثيم الكوفي : أبو محمد أحمد (ت ٣١٤ هـ) :  
كتاب الفتوح ، بيروت ١٩٨٦ .
- البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) :
  - ١ - فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦ .
  - ٢ - أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩ .
- البغدادي : عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩ هـ) :  
مراكب الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاء ، بيروت ١٩٥٥ .
- البجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) :  
البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٨٥ .
- ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) :  
الاصابة في تمييز الصحابة ، بيروت ١٣٢٨ هـ .
- ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) :

جمهرة أنساب العرب ، القاهرة ١٩٨٢ .

- الحميري : عبد المنعم السبتي ( ت أواخر القرن التاسع الهجرى ) :

الروض المعطار في خبر الأقطار ، بيروت ١٩٨٣ .

- ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) :

تاریخ ابن خلدون (العبر و دیوان المبتدأ والخبر)، بیروت ۱۹۸۶.

ابن خلگان : شمس الدین احمد بن محمد بن علی (ت ۶۸۱ھ) :

وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت  
١٩٦٨ - ١٩٧٢ .

الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمن (ت 748 هـ) :

## ١- سير أعلام النبلاء ، بيروت بدون تاريخ .

٢ - كتاب المشتبه ، القاهرة ١٩٦٢.

- أبو زكريا: يزيد بن محمد بن أبياس (ت ٣٣٤هـ) :

- ابن سعد : ابو هبـد الله محمد الزهرـى (ت ٢٣٠ هـ) :

الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت بدون تاريخ .

- سيف البطاش : سيف بن معمور بن حامد :

تاریخ المهلب القائد والمهلب ، عمان ١٩٨٨ .

- الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) :

تاریخ الرسل والملوک ، تحقیق محمد أبو الفضل ابراهیم ، طبعة دار  
ال المعارف بالقاهرة .

- ابن عبد البر : النمری القرطبی (ت ٤٦٣ هـ) :  
الأستیعات فی معرفة الأصحاب ، بیروت ١٣٢٨ هـ .
- العوتبی الصحاری : سلمة بن مسلم (ت القرن الخامس الهجری) .  
كتاب الأنساب ، تحقیق محمد الصلیبی ، عمان ١٩٨٤ .
- أبو الفرج الأصفهانی : علی بن الحسین (ت ٣٥٦ هـ) :  
آلاغانی ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- ابن قتيبة الدینوری : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦) :  
المعارف ، تحقیق ثروت عکاشة ، القاهرة ١٩٦٩ .
- قدامة بن جعفر : (ت ٣٢٩ هـ) :  
الخرج وصنعة الكتابة ، العراق ١٩٨١ .
- ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعیل (ت ٧٧٤ هـ) :  
البداية والنهاية ، القاهرة ١٩٣٣ .
- المبرد : محمد بن يزید بن عبد الأکبر (ت ٢٨٥ هـ) .  
الکامل فی اللغة والأدب ، بیروت بدون تاریخ .
- محمد بن أبي عثمان الحازمی .

كتاب النسب ، القاهرة ١٩٧٣ .

- المسعودى : على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦ هـ) :

١ - التنبية والأشراف ، بيروت ١٩٨١ .

٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ١٩٨٦ .

- نور الدين السالمى : أبو عبد الله محمد بن حميد بن سلوم :  
تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، طبع القلمرة بدون تاريخ .

- النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ) :  
نهاية الأرب في فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- أبو هلال العسكري (ت في بدأة القرن الخامس الهجرى) :  
كتاب الأولئ ، الرياض ١٩٨١ .

- الهمذانى : أبو بكر أحمد بن ابراهيم :  
مختصر كتاب البلدان ، لبنان ١٨٨٥ .

- ياقوت الحموي : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) :  
معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٥ .

- اليعقوبي : أحمد بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤ هـ) :  
تاريخ اليعقوبي ، بيروت بدون تاريخ .

# الفهرست

٠	.....	مقدمة الطبعة الثانية .....
<b>الفصل الأول : أسرة المهالبة منذ اعتنق أبو صفرة الأسلام وحتى</b>		
١٥	.....	وفاة يزيد بن معاوية (٦٤ هـ) .....
<b>الفصل الثاني : آل المهلب وثورة عبد الله بن الزبير .....</b>		
<b>الفصل الثالث : ولاء آل المهلب للدولة الأموية حتى القضاء على</b>		
٥٣	.....	الأزارقة (٧٧ هـ) .....
<b>الفصل الرابع : ولابة المهلب على خراسان حتى وفاته (٨٢ هـ) ...</b>		
<b>الفصل الخامس : آل المهلب تحت قيادة يزيد بن المهلب حتى وفاته</b>		
٩٢	.....	ال الخليفة عمر بن عبد العزير (١٠١ هـ) .....
<b>الفصل السادس : ثورة آل المهلب على الدولة الأموية .....</b>		
١١٧	.....	وموقعة العقر (١٠٢ هـ) .....
١٢٣	.....	الخاتمة .....
١٢٥	.....	- تعريف المدن والواقع المهمة .....
١٤٠	.....	- الخريطة .....
١٤٠	.....	- لبيت بأهم المصادر .....